

1985



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: الفلسفة

1985



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الموضوع:

الأصول الدينية للمنطق عند "محمود يعقوبي"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الدكتور:

الدراجي زروخي

من إعداد الطالبة:

سمية سالم

السنة الجامعية: 2017/2016

إهداء

إلى والدي العزيز أطال الله في عمره

إلى أمي الغالية حفظها الله

عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه

وسلم أي العمل أحب إلى الله

فقال صلى الله عليه وسلم الصلاة في وقتها، قلت ثم أي

قال بر الوالدين، قلت ثم أي، قال الجهاد في سبيل الله.

إلى رياحين حياتي في الشدة والرخاء

إخوتي، عفاف، عبد الحق، دنيا، هناء، رانيا، بلال، وصالح، الى أنفال،

وأشرف

وإلى كل من شجعني وساعدني على إتمام هذا العمل.

سحرية

الشكر والتقدير

أشكر الله تعالى وأحمده، فهو المنعم والمتفضل على قبل
كل شيء أشكره وأحمده أن حقق لي ما أتمناه وأصبو
إليه

في استكمال درجة الماجستير في الفلسفة العامة،

جزيل الشكر والعرفان.

الى الأستاذ المشرف زروخي درايجي حفظه الله على
ارشاده لي في إنجاز هذه الدراسة متمنية له المزيد من
النجاحات

وجزيل شكري لبقية أساتذة قسم الفلسفة الكرام.
وأشكر شكراً غير مقطوع لأخي خشاب ناصر صاحب
مكتبة السفير الذي ساعدني في ضبط وطباعة الدراسة
وتدقيقها وتنسيقها وحسن إخراجها.

مقدمة

لقد ظهر الخطاب الديني، نتيجة تلك الحاجة الشديدة من قبل الإنسان إليه غير أن هناك العديد من الدعاوى التي رفضت هذا الخطاب على اعتبار أنه خطاب لاعقلاني فهو كلام لا يستند على برهان بحكم أن الأسس والمنطلقات التي استند عليها هي دينية بحتة مخالفة لما يرتضيه ويقره العقل، فعقائده فرضتها مجموعة من النظم المعرفية التي أنتجت ما نطلق عليه اليوم "بالتراث" وبالتالي فهو خطاب لا برهاني يدعوا الى التسليم به دون دليل أو برهان بخلاف الخطاب العقلاني الذي يرفض كل ما لا تتم البرهنة عليه.

وإن كانت هذه الدعاوى المشار إليها تنطبق على خطابات الديانات السابقة فإنها ستكون دعوى باطلة أمام الخطاب القرآني لأنه خطاب عقلي برهاني اعتمد في دعوته على الحججة المنطقية وهي الفكرة التي سعى محمود يعقوبي الى توضيحها وكذا التأكيد عليها في العديد من دراساته المنطقية، ومما لا جدال فيه أن الله سبحانه وتعالى قد خلق بني البشر مفطورين على النطق، وفرض عليهم التفكير باعتباره ضرورة انسانية بما منحه فيهم من قوة عاقلة ومفكرة، فيولد الانسان مزود بذلك الاستعداد الفطري ليهتدي بفطرته السليمة إلى ربه، فيستدل على عظمة مبدعه ساعيا إلى التطلع إلى الغيب ومحاولة معرفة الحقيقة الكامنة وراءه وعدم الوقوف عند حدود الواقع الحسي، والعودة إلى التأمل في المسائل الأزلية فكان بذلك التفكير دعوة قرآنية لأنه أساس الفهم والاستيعاب وكذا معيار للحكم على الأشياء ولا يكون هذا إلا من خلال منطق سليم، وهو ما جعل القرآن الكريم يشتمل على منطق لا يبعد عن كونه تلك الأصول الأولى التي يقوم عليها عمل أي عقل بشري فالخطاب القرآني جاء وفق بناء منطقي صوري كله خطاب إلى الإنسان ومن أجل الإنسان، ومن هذا المنظور جاءت فكرة الأصول الدينية للمنطق بالنظر الى أن العقل البشري يسلك في عملياته الفكرية للبحث عن الحقيقة طرق استدلالية شائعة عند جميع البشر أهمها الاستدلال الصوري وعليه هل قواعد المنطق الصوري قواعد فطرية؟ وهل هي متواجدة في الخطاب القرآني من وجهة نظر محمود يعقوبي؟

ولعل أحد أبرز الأسباب الكامنة وراء اختياري هذا الموضوع، قدسية القرآن الكريم بالنسبة لي، كسبب ذاتي بالإضافة الى عدم التطرق الى هذا الموضوع بشكل مفصل من قبل دراسات سابقة بعد بحث في حدود الممكن وسؤال مشرفي المتابع لمستجدات البحوث العلمية لم أجد دراسات توافق ما هو متناول في هذا البحث وغاية ما وقفت عليه هو بعض الدراسات الجزئية المتعلقة بجزئيات صغيرة فيه. أما من الزاوية

الموضوعية فتمثلت في الكشف عن الطرق والأساليب القرآنية في الاستدلال وإقامة الحجج والبراهين العقلية في إثبات قضايا العقيدة، وكذا للاستفادة من هذه الأساليب القرآنية في الرد على أعداء الإسلام وافترائهم حولها. ولتحقيق هذا الغرض استعملت من أجل إيضاح جل أفكار هذا البحث المنهج التحليلي المقارن الذي فرضته طبيعة الموضوع بدءاً بتفكيك فكرة المنطق الفطري وشرحها وصولاً إلى مقارنتها بالمنطق الأرسطي لنستنبط في الأخير أن هذا المنطق ما هو إلا تلك الترتيبات الفطرية التي متى التزمها الفكر صح استنتاجه وهي واحدة لدى جميع الناس كما أنه طبيعي متأصل في طبيعة الإنسان العاقلة.

ومن خلال تحليلي لهذه الفكرة ارتأيت إلى تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول اندرج تحت كل فصل ثلاث مباحث وهي على الترتيب التالي:

الفصل الأول: بعنوان التطور التاريخي لمفهوم المنطق

وهو فصل نظري تناولت في مبحثه الأول جملة المفاهيم التي تندرج ضمن الإطار المنطقي أما المبحث الثاني فتحدثت عن الأصول الأولى للمشكلة لهذا المنطق ثم تطرقت إلى دعوة محمود يعقوبي لذلك المنطق الفطري كمنطق محايد للطبيعة البشرية وهو منطق لا يمثل الأصل الأول للفكر البشري، بينما تضمن المبحث الثالث توضيح تلك العلاقة الظاهرة التي جمعت الخطاب القرآني بالمنطق.

الفصل الثاني: فعنوانه بفطرية المنطق عند محمود يعقوبي

عالجت في مبحثه الأول المنطق القرآني إذ تقرر من القرآن الكريم حقائق كبيرة، وهي أن الإنسان قد خلق على فطرة سليمة تتجه إلى بارئها وتلجأ إليه وفق نسق منطقي عقلي، أما المبحث الثاني فكان حديثنا فيه عن تلك العلاقة بين الخطاب القرآني واللغة العربية بشكل خاص أي حديثنا عن علاقة البناء المنطقي بالبنية اللغوية العربية، بينما تحدثت في المبحث الثالث عن أهم آليات الخطاب القرآني.

الفصل الثالث: فكان بعنوان مبادئ المنطق في القرآن الكريم

وهو تحصيل حاصل للفصلين السابقين فجاء المبحث الأول حاملاً لفكرة أهم خاصية في الإنسان ومدى مراعاة الخطاب القرآني لها والمتمثلة في الجدال، ثم المبحث الثاني والذي وضحت فيه الطريقة البلاغية التي عرض بها الخطاب القرآني قضايا وموضوعاته مركزاً على بلاغة الحجة الفطرية القرآنية كما استدللنا بعد ذلك بأهم صورها، أما المبحث الثالث كان الحديث فيه عن تلك الأبعاد النفسية والاجتماعية التي يحدثها

الخطاب القرآني ليس بوصفه خطاب ديني فقط بل كذلك بوصفه حل لمختلف المشكلات التي تعانيها المجتمعات العربية بشكل خاص.

وكانت الخاتمة كحوصلة لأهم ما توصلت اليه من نتائج وقد استعنت بجملة من المصادر التي ساعدتني كثيرا في إعداد هذا البحث لعل من أبرزها القرآن الكريم، المنطق الفطري في القرآن الكريم لمحمود يعقوبي، دروس المنطق الصوري، جول تريكو المنطق الصوري وغيرها من المصادر والمراجع المهمة.

وقد واجهتني صعوبات في إعدادي لهذا البحث أهمها ندرة المصادر، وكذا صعوبة ضبط واقتناء المعلومات التي توافقت مجريات هذا البحث خاصة في ظل حديثنا عن المنطق الأرسطي ومدى توافق قواعد هذا الأخير مع مضامين الكتاب العزيز على حد تعبير ابن رشد.

وفي الأخير أسأل الله العلي القدير أن يمن علي هذا البحث بالقبول والإفادة والنفعة

الفصل الأول

التطور التاريخي لمفهوم المنطق

المبحث الأول: شبكة المفاهيم المكونة لحقل الفكر المنطقي

المبحث الثاني: الأصول الأولى للمنطق والدعوة لبناء منطق

محايت

المبحث الثالث: الخطاب القرآني والمنطق

المبحث الأول: شبكة المفاهيم المكونة لحقل الفكر المنطقي

يعتبر الفكر اليوناني فكر له أصوله وله قواعده واتجاهاته المختلفة والمنطق الصوري أو ما يعرف بالمنطق الشكلي هو أحد أهم إنجازات هذا الفكر على مر العصور فهو علم آلي وضع لصيانة الذهن عن الخطأ في الفكر وهو الميزان والمعيار الأساسي لمعرفة التفكير الصحيح فكان بذلك محط اهتمام العديد من الفلاسفة والمفكرين وعليه فإن تعريفاته تعددت وهي على الشكل التالي:

أولاً: المعنى اللغوي

يعرف المنطق (logikē - Logic) في اللغة على أنه؛ "علم موضوعه الحكم التقديري، التقويمي بقدر انطباقه على التمييز بين الصدق والكذب"¹ أي الحكم بكون الشيء صحيحاً أو خاطئاً بناء على مجموعة من القواعد وهو وسيلة العقل للتعرف على الصواب وتجنب الخطأ كما يعرف على أنه "علم موضوعه أن يحدد من بين كل العمليات العقلية النازعة إلى معرفة الحقيقة، ما هو صالح منها وما هو طالح"² بمعنى أن المنطق علم يدرس المبادئ ويناقش الأحكام وهو العلم الذي توزن به الحجج والبراهين. وتعود كلمة المنطق في الأصل إلى النطق ونقصد به تلك القوة التي أوجدها الله تعالى في الإنسان والتي تميزه عن سائر المخلوقات الأخرى ألا وهي العقل وعليه يعرف الإنسان في الكثير من الأحيان عند المناطقة على أنه حيوان ناطق، والمقصود به أن النطق عبارة عن تلك الأصوات التي يظهرها اللسان فالمراد بالناطق هو الذي يملك صوتاً، أما عند المناطقة فالنطق هو تلك القوة الباطنية التي يكون النطق بها وهذه القوة موجودة عند كل البشر وبالتالي فإن فعل التعقل مرادف للنطق، خاصة وأن الكلام هو ذلك الانعكاس الداخلي للفكر.

يظهر المنطق في اللغة كمرداف للكلام فيقال نطق: نطق الناطق ينطق نطقاً: أي تكلم، والمنطق: هو الكلام والمنطيق: هو البليغ، وكلام كل شيء: منطقه ومنه قوله تعالى «علمنا منطق الطير»³

¹ أندري لا لاند: موسوعة لا لاند الفلسفية، مادة المنطق، مج2، ط2، تعريب: أحمد خليل أحمد، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 2001، ص742.

² نفسه، ص743.

³ ابن منظور: لسان العرب، مج10، مادة المنطق، دار صادر، بيروت، 1968، ص354.

ويقول ابن فارس: (*) النون والطاء والقاف: أصلان صحيحان، أحدهما: كلام أو ما أشبهه والآخر: جنس من اللباس، الأول: المنطق والآخر: النطاق¹

من خلال التعريفات السابقة التي وضعت للمنطق في المعاجم اللغوية فإن كلمة المنطق في الأصل لفظ عربي المصدر وليست ترجمة حرفية للمصطلح اليوناني (logos) فهي مرادفة للفظ المنطق لتدل بذلك على معنى الكلام، وقد استحدث هذا اللفظ من طرف المنطقة وقد حاول الفارابي تسويغه وإيجاد معنى مناسب له فيقول: «صناعة المنطق، واسمها مشتق من النطق، وهذه اللفظة تدل عند القدماء على ثلاثة أشياء: (القول الخارج بالصوت والذي تكون به عبارة اللسان عما في الضمير) (أي الكلمات من حيث هي أصوات) الثانية: القول المركوز في النفس، وهو المعقولات التي تدل عليها الألفاظ (أي المعقولات أو المعاني التي تدل عليها الألفاظ) الثالثة: القوة النفسانية المفطورة في الإنسان، والتي بها يميز وبها يحصل المعقولات والعلوم (أي المفكرة في الإنسان أو العقل)»².

وقد ورد في معجم الجرجاني «أن المنطق هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر»³ فالمنطق بذلك هو العلم الذي يبحث في التفكير الإنساني من حيث الصحة و الفساد، بقصد الاهتمام إلى القواعد العامة التي يجب توفرها في التفكير .

ثانيا: المعنى الاصطلاحي:

المنطق هو العلم الذي يبحث في قوانين الفكر بغية الوصول إلى اليقين من خلال آلية التمييز والحكم بين صواب الأمر وخطئه وكذا تنظيم الاستدلال أي أنه يدرس المبادئ العامة للفكر الحق، فهو العلم الذي يدرس أشكال التفكير، أي جملة القواعد التي يلتزمها الإنسان بغية الحصول على معلومات جديدة يضيفها للمعارف التي لديه فتكون بمثابة العاصم والموجه لتلك المعارف من أجل تجنب الوقوع في الخطأ.

(*) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين اللغوي القزويني الإمام العلامة اللغوي المحدث كان رأسا في الأدب بصيرا بفقهاء مالك مناظرا متكلمة على طريقة أهل الحق نحويا على طريقة الكوفيين، من تصانيفه: الجمل في فقه اللغة حلية الفقهاء اختلاف النحويين توفي بالري سنة 395هـ

¹ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة النطق، تح: عبد السلام هارون، ط1، دار الجليل، بيروت، 1411هـ ص440.

² أبي نصر الفارابي: إحصاء العلوم، قدم له وشرحه ويؤبه على بوملحم، ط1، دار ومكتبة الهلال للدراسة والنشر، بيروت، 1996، ص 36، 37.

³ عبد القاهر الجرجاني: التعريفات، مادة المنطق، ط1، مكتبة بيروت، 1969، ص251.

ثالثاً: المعنى الفلسفي.

ويعد أرسطو أول من هذب قواعد المنطق، ورتب مسأله، إلا أنه لم يستعمل لفظ المنطق بل التحليل ويرجح جملة من الفلاسفة والمفكرين أن من أطلق عليه لفظ المنطق هم شراح أرسطو.¹ وقبل الخوض في المعنى الفلسفي للمنطق لابد من الإشارة إلى أن المنطق قد اتخذ عدة أسماء نذكر منها:

1- اسم الديالكتيك (Dialectic – διαλεκτική): وقد ظهر عند أفلاطون كعلم يهدف إلى معرفة الوجود من أجل إدراك المثل عن طريق تحليل التصورات وتركيبها. أما عند أرسطو فإن الديالكتيك هو الحجج القائم على الظن والاحتمال.

2- الأورجانون (Órgano-Όργανον): وقد أعطي لمؤلفات أرسطو في المنطق ومعنى هذه الكلمة: آلة وقد تأثر الفلاسفة المسلمين بهذه التسمية فيعرف المنطق عندهم على أنه آلة توجه الذهن.

3- القانون (law - Kanun): وقد ظهر عند الأبيقوريين لأنه يشتمل على قواعد المعرفة والحقيقة.²

4- طب العقل (medicina mentis): ويعتبر سيثرون أول من أطلق عليه هذا الاسم لأن هدف هذا العلم هو علاج ذلك الضعف الطبيعي الموجود في الذهن البشري بواسطة قواعد صورية، ابتغاء الوصول إلى المعرفة الصحيحة.

5- لوجيكية: وقد استعملت كلمة لوجيكية والديالكتيك للدلالة على علم المنطق.³ بالرغم من التسميات المختلفة التي أطلقت على علم المنطق إلا أنها تشترك جميعها في خاصية أن المنطق هو العلم الذي يعني بدراسة الفكر الإنساني وتنظيم ما لديه من معارف بوجه عام.

رابعاً: امتداد الفكر المنطقي

ان تعريف أرسطو للمنطق على أنه آلة العلم، وموضوعه الحقيقي هو العلم نفسه وقد كان لهذا التعريف أثر بالغ في العصور الوسطى المسيحية والإسلامية فقد عرفه القديس توما sain، thomas d`Aqui بأنه:

¹ علي سامي النشار: المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، ط1، دار المعرفة الجامعية، السويس، 2000، ص4.

² عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1989، ص477.

³ نفسه، ص477.

" الصناعة التي توجه عمل العقل ذاته والتي بفضلها يسير الإنسان في عمله العقلي بشكل منظم وسهل وبلا خطأ".¹ وهذا الرأي يتوافق مع قول الفارابي في نسبتته علم المنطق الى العقل كنسبة علم النحو للغة فيقول: «نسبة صناعة المنطق الى العقل والمعقولات كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ فكل ما يعطينا إياه علم النحو من القوانين في الألفاظ، فإن علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقولات»² وبالتالي فإن صناعة المنطق تعطي جملة من القوانين التي من شأنها أن تقوم العقل، وتسدد فكر الإنسان نحو طريق الصواب وهي صناعة تناسب صناعة النحو الى اللسان والألفاظ، فكل ما يعطيه علم النحو من قوانين في الألفاظ، يعطيه لنا علم المنطق في المعقولات.

وقد وضع الغزالي وجهة نظره من تعريف المنطق باعتباره قانون، وميزان، فهو منهج معياري عقلي عام كان بمثابة المدخل للعلوم كافة فيقول عنه: «وأما المنطقيات فأكثرها على منهج الصواب والخطأ نادر فيها وانما يخالفون أهل الحق فيها بالاصطلاحات والإيرادات دون المعاني والمقاصد اذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات وذلك مما يشترك فيه النظار».³ ما يمكن استنتاجه والملاحظ من التعريفات الفلسفية السابقة أنها تتمركز على ثلاثة ألفاظ أساسية:

تمثلت في: (الآلة، الصناعة، قانون) اللفظ المحوري هو الآلة والتي تمثل الترجمة الحرفية لكلمة organon وهو الاسم الذي يطلق على مجموع مؤلفات أرسطو المنطقية.

"أما إيمانويل كنت *Emmanuel Kant* فيعرف المنطق بقوله: «نطلق نحن كلمة منطق *logik* على علم القوانين الضرورية للذهن والعقل بوجه عام، أو _ والمعنى واحد_ (علم) الشكل البسيط للفكر بوجه عام» أما هيجل *Georg Wilhelm Friedrich Hegel* فيعرفه بقوله: «إن المنطق هو علم الصورة أعني الصورة في العنصر الجرد للفكر»⁴ بالنظر الى ما سبق يمكن لنا تقسيم المنطق الى قسمين على اعتبار أن موضوع المنطق هو التفكير وهذا الأخير له جانبان صورة ومادة وهذين الفرعين للمنطق هما:

¹ نقلا عن: علي سامي النشار: المنطق الصوري، ص23.

² الفارابي: إحصاء العلوم، ص28.

³ الغزالي: مقاصد الفلاسفة، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1513، ص4.

⁴ نقلا عن: محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 200، ص 13.

1/ المنطق الصوري *logique formelle*

أ) درس المفاهيم، الأحكام والأدلة، في الصور بصرف النظر عن المادة، من أجل تحديد تجريدي لخواصها وللشروط التي تتضمن فيها.

ب) منطق رمزي *algorithme*: ويتم فيه دمج ملاحظ صورية خالصة، محددة بعلم قيمي، تقريرية ومجرد، بحيث يكون النسق المحدد لهذا النحو قابلا للتطبيق على المنطق والقسم الحقيقي لهذا الفرع من الدراسات هو *logistique*.¹ فنقصد به استعمال الرموز والإشارات التي يجري عليها الاستدلال بدل الألفاظ والعبارات فهو ضرب من ضروب المنطق الصوري فهو يبحث في القواعد العامة والرموز الدالة عليها.

2/ المنطق العام (مادي):

أ/ موضوعه تحديد عمليات الفكر الإدراكية التي تقود للسداد والتي تقود للفساد. بمعنى أنه يتضمن دراسة التنظيمات الصارمة، كما يتضمن درس العمليات الاستقرائية، المنظور إليها من زاوية قيمتها المحتملة. ب/ طريقة استدلالية، تمارس عمليا، ويقال أحيانا منطق طبيعي.

ج/ تحليل صور الفكر وقوانينه، سواء من زاوية عقلانية ونقدية، أم من زاوية خبرية ووصفية.² فنقول صوريا بمعنى أنه هو يبحث في الأحكام والبراهين من حيث صورتها بصرف النظر عن مادتها، فهو يهتم بانسجام الفكر مع نفسه فقط دون مراعاة انطباقه مع الواقع ويعرف أيضا بالمنطق القديم ويندرج تحته كل من المنطق اليوناني بشقيه الأرسطي/المشائي وكذا المنطق الرواقي ومن أقسامه: المنطق الرمزي ويسمى هذا الأخير أيضا منطقا رياضيا. "فالمنطق الصوري يجد بصفته ناجما فقط عن طبيعة الفكر عامة، ومنتجا بمقتضى الصورة بغض النظر عن المضمون. فهو يدرس قوانين الفكر الضرورية³ أي دراسة تلك القواعد التي لا ينبغي للفكر الاستغناء عنها وإلا وقع في الخطأ. فإذا أراد الإنسان أن يفكر تفكيراً صحيحاً ينبغي أن يراعي قوانين المنطق إلا أن مراعاة هذه القوانين تكون بشكل فطري في غالب الأحيان بمعنى أن الإنسان لا يعرف أنه قد فكر تفكيراً منطقياً.

¹ أندري لا لاند: الموسوعة الفلسفية، مج2، ص 743، 744.

² نفسه، ص 744، 745.

³ جول تريكو: المنطق الصوري، تر: محمود يعقوبي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000، ص24.

مثال: بسيط قد يمارسه أي شخص، كانقطاع الكهرباء في الحي يعني استنتاجك أنها مقطوعة في بيتك لأن ما يصدق على الكل بالضرورة يصدق على الجزء أو حتى عندما تواجه الإنسان مشكلة ما فإنه يلجأ في حلها الى ما هو متوفر لديه من معلومات معروفة ليتوصل الى أخرى مجهولة وهو ما يعرف بالاستدلال المنطقي مثال: م/ك: كل الفاكهة لذيذة الطعم م/ص: التفاح فاكهة ن: كل التفاح لذيذ الطعم. فيكون بذلك عمل المنطق الصوري هو أن يقدم لنا القواعد التي نحتاج إليها لكي يكون الاستدلال صحيحاً من الناحية المنطقية، أما موضوع المنطق المادي فهو أن يضع القواعد التي تجعل الفكر متطابقاً مع الأشياء، أي أن تعبر ما في الذهن على ما هو عليه في الخارج.

ومن بين المفاهيم التي تندرج ضمن حقل المنطق الفطري المراد معالجته في هذا البحث مفهوم (الجدال القضية، القياس، الحجة، الاستدلال)

الجدال: "جدل الجيم والبدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام." ¹ وهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة.

الجدل: وهو شدة الخصومة. وفي الحديث: ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا، والجدل: "مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة والمخاصمة، والمراد به في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا إظهار الحق فإن ذلك محمود لقوله عز وجل: "وجادلهم بالتي هي أحسن". ²

ان الجدل في معناه العام هو تردد كلام بين شخصين قصد تصحيح قول أو ابطاله من طرف أي منهما والجدل بالمعنى القرآني قائم على التدافع وليس الصراع بمعناه الغربي.

ولفظ الجدل مشتق من الفعل اليوناني *dialegesthai* ومعناه يجادل والجدل هو فن البرهان ومبدعه زينون الايلي ويفرق أرسطو بين الجدل والتحليل. التحليل موضوعه البرهان، أي ذلك القياس المنتظم من مقدمات صادقة أولية أما الجدل فموضوعه الاستدلالات التي تقوم على مقدمات محتملة. ³ يمكن تعريف الجدل أنه تلك الصناعة العلمية التي تمكن الفكر من إقامة الحجة من المقدمات المسلمة بما دون الوقوع في تناقض.

¹ ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة الجدل، ص433.

² ابن منظور: لسان العرب، مادة جدل، ج11، ص105.

³ مراد وهبة: المعجم الفلسفي، مادة الجدل، ط5، دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص238.

القضية: وهي "كل مركب تام يصح أن نصفه بالصدق أو الكذب"¹ فليس كل جملة قضية فالجملة قضية حين تحتمل الصدق أو الكذب وهي تنقسم إلى قسمين: حملية وشرطية

"أما الحملية: هي ما حكم فيها بثبوت شيء لشيء أو نفي شيء عن شيء. وهي تتألف من محكوم عليه، محكوم به، ورابطة (تكون بالإيجاب أو السلب) والشرطية: وهي ما حكم فيها نسبة بين قضية وأخرى أو عدم وجود نسبة بينهما. وتتألف من المقدم، التالي، الرابطة. وتنقسم القضية سواء أكانت حملية أو شرطية إلى قسمين هما الموجبة أي المثبتة، سالبة أي المنفية."² إن القضية الحملية هي تلك التي يكون الحكم فيها غير متوقف على وجود شرط أي حمل شيء على شيء، بخلاف القضية الشرطية التي يكون الحكم فيها متعلق بوجود شرط وهي قسمين قضية شرطية متصلة وطرفاها يكونان متصلين بأداة شرط، وقضية شرطية منفصلة وتكون أداة الشرط فيها قد وضعت للفصل.

القياس *sylogisme*: نوع من الأعمال الذهنية وأسلوب من أساليب التفكير فننتقل من خلاله من مجهول إلى معلوم والقياس هو قول "مؤلف من أقول إذا وضعت لزم عنها بذاتها لا بالعرض قول آخر غيرها اضطرار فماهية القياس تقوم في لزوم النتيجة من المقدمتين هذا اللزوم الضروري."³

ومثاله:

العالم متغير

وكل متغير حادث

نتيجة: العالم حادث

الحجة: معنى الحجة هو الاستدلال وهذا الأخير نحو من التفكير يقوم على أساس تأليف قضايا معلومة وتنظيمها بشكل خاص من أجل تحصيل العلم بقضية مجهولة والحجة في اللغة بمعنى الغلبة⁴ مثال: زيد يموت هذه قضية مجهولة فيفترض الذهن هذه القضية بغية البحث عن صدقها أو كذبها فنقول بما (أن زيد انسان) فالمعلوم (أن كل انسان يموت) فسيتضح لنا من هاتين المقدمتين أن القضية صحيحة.

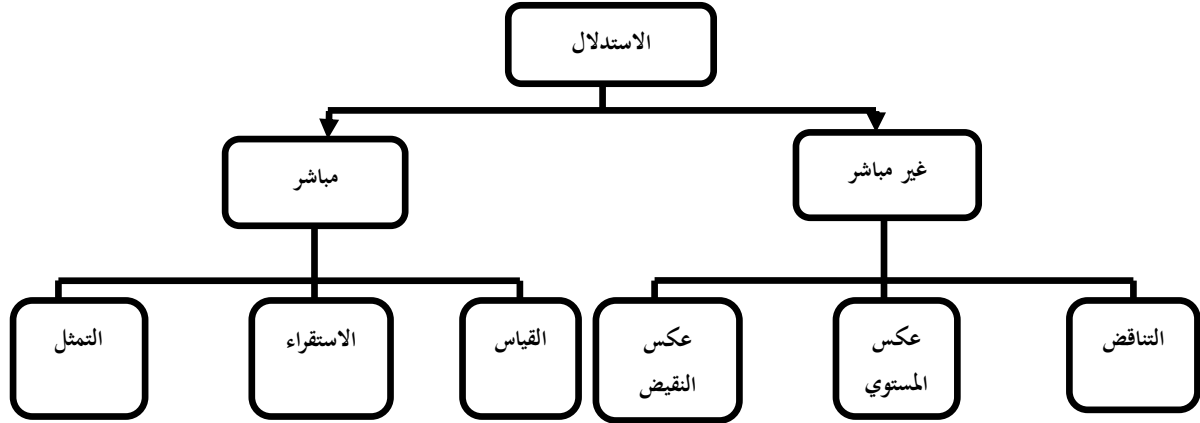
¹ محمد رضا المظفر: المنطق، ط3، دار التعارف للمطبوعات، مصر، 2006، ص335.

² عبد الهادي الفضلي: خلاصة المنطق، ط3، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، إيران، 2007، ص 131، 136.

³ مراد وهبة: المعجم الفلسفي، مادة القياس، ص503.

⁴ محمد صنقور علي: أساسيات المنطق، ط1، دار جواد الأئمة، لبنان، 2013، ص330.

الاستدلال: وهو اتخاذ معرفة دليلا إلى معرفة أخرى، بحيث يكون الوصول إلى المعرفة الجديدة بالاعتماد على المعرفة السابقة فتستعمل المعارف القديمة مطية للوصول إلى معرفة جديدة دون الاعتماد في ذلك على التجربة الإدراكية الحسية.¹ وينقسم إلى قسمين: استدلال مباشر، الاستدلال غير مباشر.



ما يمكن استنتاجه أن الاستدلال هو استنتاج قضية من قضية واحدة وهذا النوع يسمى استدلال مباشرا وهو يستند إلى قوانين الفكر الأساسية خاصة مبدأ عدم التناقض، وهذا الاستدلال ستة أنواع أبرزها ما ذكرناه بالإضافة إلى التقابل، نقض المحمول، نقض عكس المستوي. واستدلال من أكثر من قضية ويسمى استدلال غير مباشر وهو ثلاث أنواع القياس، الاستقراء، التمثيل.

¹محمود يعقوبي: دروس المنطق الصوري، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص14.

المبحث الثاني: الأصول الأولى للمنطق والدعوة لبناء منطق محايث.

لقد نشأ المنطق في بلاد اليونان وقد شهدت هذه الأخيرة تطور علمي وتاريخي مزال صيته شائعا حتى العصر الحاضر وحديثنا عن الفكر اليوناني يعني حديثنا عن الأصول الفكرية الأولى التي ساهمت في نشأة المنطق فماهي أهم المنطلقات المشكلة للمنطق الأرسطي؟

أولا: الدعائم المشكلة للمنطق

يأتي المنطق في مقدمة العلوم العقلية التي أفرزتها الحضارة الإغريقية ولقد عرف انتشارا واسعا وكذا اهتماما بالغاً من طرف الباحثين نظراً لأهميته وكذا باعتباره وسيلة العقل وبالتالي فهو يدخل في كل مجال من مجالات حياتنا اليومية "فيعد الجدل الإيلي سابق عن المنطق وأحد أهم منطلقاته فهو منهج في المناقشة موضوعه الاحتمال وعماده مقدمات ظنية فالمدرسة الإيلية أقامت الحقيقة على فكرة منطقية هي الوجود فقد ميز بارمينيدس بين الحقيقة التي موضوعها الوجود والتي تؤدي إلى العلم والظن الذي موضوعه اللاوجود أي عالم المظاهر الحسية وهو يؤدي إلى مجرد الاحتمال"¹ وبالتالي فهذا الجدل في جوهره هو جدل وجودي كما أنه فن للتداول بغية الوصول إلى الحقيقة، من خلال طرح الفكرة والفكرة المضادة لها وقد كان لهذا الجدل أهمية كبيرة في تاريخ المنطق، وتظهر مجموعة من العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية لينتقل الفكر اليوناني إلى الاهتمام بالوضع الإنساني في الكون بعد أن اقتصر البحث في المرحلة السابقة على أصل العالم وتفسير الوجود.

لقد ظهرت هذه الحركة تلبية لحاجة ماسة في المجتمع اليوناني حيث شهدت اليونان تحولا في نظم الحكم في معظم مدنها فانتقلت من الأرستقراطية إلى الديمقراطية التي أعطت لكل من يملك موهبة خطابية الحق في أن يصبح حاكما وقد اتفق العديد من مؤرخي الفلسفة على أن الحركة السفسطائية قد ساهمت بشكل غير مباشر في نمو الدراسات المنطقية من خلال علم الخطابة والجدل الذي يتحول إلى منهج تعليمي ووسيلة مكنت أصحابها من اللعب بالألفاظ لإخفاء الحقائق كما "لفتت الانتباه إلى دراسة الكلمات والجمل والأسلوب والنثر، وأثاروا دوامة من الأفكار بدونها لما كان يمكن لعصر أفلاطون وأرسطو أن يرى النور"²

¹ جول تريكو: المنطق الصوري، ص 29، 28.

² ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984، ص 109.

وهذا تأكيد آخر على أن السفسطائية مثلت تيار علمي تمتع أصحابه بقدرة هائلة على الجدل، وتعرف السفسطة في معاجم اللغة على أنها الشخص المغالط في جداله وأتى بحكمة مظلة، جادل بالخطأ والتضليل. أو هي "قياس مركب من وهميات الغرض إفحام الخصم وإسكاته أو القياس الباطل الذي يقصد به تمويه الحقائق وإسكات الخصم"¹ وقد أنكر السفسطائيون الحسيات والبديهيات وغيرها، وهي حركة تعنى بالجدل والتلاعب بقصد الإقناع، وقد عارضهم سقراط وكشف عن مغالطاتهم. فقد نمت السفسطائية قوة الجدل والخطابة على حساب التفكير والحجة الواضحة، وأقروا أن الخطأ مستحيل باعتبار أن الفرد مقياس كل شيء، كما قالوا أن البرهنة على فساد رأي من الآراء أمر مستحيل، فليست الحجة السليمة أو المنطق معيارا للحياة العقلية بل تتوقف قيمة الحياة على مقدار تحقيقها للغايات العملية.

يتضح لنا أن الحركة السفسطائية كان لها جانب إيجابي وقد لعبت دورا فعالا خاصة فيما يخص تنمية الصناعة المنطقية إلا أنها خلفت تساؤلات وفوضى فكرية ففقد الناس قدرتهم على معرفة الحقائق فانهارت القيم والمبادئ ما نجم عنه انهيار المجتمع اليوناني. فاحتاج اليونان الى نمط جديد يصبح في المستقبل نموذج للحكمة، تمثل هذا النمط في ظهور شخصية سقراط فجاء كمصلح للعقول هدف إلى إعادة التوازن لجملة المبادئ والمثل التي فطرت عليها النفس الإنسانية، ليقدّم صورة أخرى لجدل زينون ليصبح بذلك بمنهج لتوليد الحقائق من خلال توجيه الأسئلة للخصم في نسق منطقي وترتيب فكري وتوليد الإجابات منها، محاولا إيقاع الخصم في تناقض بطريقة تهكمية تقوم على تصنع الجهل، والتسليم بوجهة نظر الخصم، ثم الانتقال إلى إثارة الشكوك حولها وطرح معنى ينفي المعنى الأول، لقد كان القصد الذي يرمي إليه سقراط هو تنبيه الأذهان إلى ضرورة التزام الدقة في اختيار الألفاظ، وإلى أن المعاني موجودة في النفس، ولا سبيل إلى استخراجها إلا بالحوار.

الفكرة التي ينبغي أن نوليها اهتمامنا الأكبر هو مساهمة سقراط في نشأة المنطق ويمكن إيضاح ذلك من خلال مبدئين: تمثل الأول في ضبط المفهوم أو التصور وكذا الاستقراء، وهو ما نستنتجه من منهجه "التهكم والتوليد" يقول أرسطو: «إننا ندين لسقراط بشيئين، الأول تعريف المعاني تعريفا مانعا جامعا، والثاني: عملية الاستقراء الذي يستخلص الماهيات بواسطة المقارنة بين الأمثلة والشواهد المعطاة»².

¹ عمر أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج2، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص1073.

² نقلا عن: عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ص577.

لقد أعاد سقراط للعقل قيمته ومجده فقد علم أن كل معرفة هي معرفة من خلال المفهوم فالعقل هو ملكة المفاهيم والاستدلال العقلي بنوعيه الاستنباطي والاستقرائي عند سقراط قائم على المفاهيم وقد سار أفلاطون هو الآخر على خطى أستاذه سقراط، فطريقة أفلاطون في الجدل هي طريقة القسمة المنطقية، وهي طريقة تحليلية تكون فيها إحدى القضايا العامة بدءاً للتفكير، ويسلم جدلاً بأنها صحيحة، ومنها يستنبط النتائج حتى يصل إلى حلين: إما أن تكون فاسدة وبالتالي نحكم على فساد الأولى التي استنبط منها وإما أن تكون صادقة فيحكم على صدق الأولى. إن الجدل بذلك هو منهج للارتفاع بالعقل من المحسوس إلى المعقول، فيقسمه أفلاطون إلى جدل صاعد ينقل الفكر من الجزئي إلى الكلي، أي من المدركات الحسية إلى المعاني الكلية الموجودة في المثل وجدل نازل ينزل بالعقل إلى الحس بتحليل مدركاته وترتيبها في أجناس وأنواع، كما أن نظرية المثل التي اشتهر بها أفلاطون بناها متأثراً بعلم الهندسة عند فيثاغورس وأخذ عنه البرهان بالخلف الذي يحتل مكاناً هاماً في المنطق، وقد قامت هذه النظرية على تصور عقلي "هي في الأساس ذات طابع ديني، فهي تنتمي إلى العالم الإلهي"¹ ليستخلص أرسطو قياسه من قسمة أفلاطون وبنى منطقته على فهمه للجدل كاستدلال، فالمثل هي موضوع العلم والجدل هو الطريقة المنطقية لهذا العلم. ليواصل بعد ذلك أرسطو عمل جهود الذين سبقوه واتجه إلى وضع صياغة للمبادئ المنطقية مقتربا من الروح الرياضية، التي كانت سائدة فيعين البديهيات والقوانين الاستنتاجية ويبرهن على المبرهنات وذلك بالاستعانة بالأوليات والقوانين "فقد وضع أرسطو الجدل المغالطي الذي اتبعه السفسطائيون، وقد وضع في كتابه الجدل-الطويقا الصورة الصحيحة للجدل باعتباره نوعاً من الأقيسة، بدأ من مقدمات شائعة أو مشهورة ليقنن الجدل ووضح صورة القياس الجدلي وموضوعاته، غير أنه لم يعتبره علماً بل هو فن."² إن الإنسان في تفكيره اليومي يصل إلى نتائج قد تكون هذه الأخيرة صحيحة مقبولة، وقد تكون خاطئة مرفوضة. وعليه فإن الفكر الإنساني معرض بطبيعته للخطأ والصواب وهنا تبرز وظيفة المنطق بوصفه "صناعة القوالب والصور التي ينبغي أن يكون مسار التفكير في إطارها ولذلك سمي المنطق الأرسطي بالمنطق الصوري لأنه يحدد صور التفكير وأشكاله بقطع النظر عن مواده"³ مما سبق يتضح لنا أن المنطق علم يبحث في التفكير الحق.

¹ أفلاطون: فيدون في خلود النفس، تر: عزت قرني، ط3، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص59.

² مصطفى النشار: مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان، ص112.

³ محمد صنفور علي: أساسيات المنطق، ص20.

لقد خلق الله تعالى الإنسان مفظورا على التفكير و حث القرآن الكريم على إعمال العقل كملكة فطرية خلقها وجاءت النصوص القرآنية مؤكدة على إعمال العقل، والتفكير والتدبر قال تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس الآية 101 وقال تعالى أيضا: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ عبس الآية 24 فالملاحظ أن التفكير ذو أهمية بالغة في حياة الإنسان فهو تكريم له يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء الآية 70 كما أنه وسيلة لفهم ومعرفة حقائق الكون وسننه، وعليه فإن الله "منحه قوة عاقلة مفكرة كما فطره على النطق، وجعل اللسان آلة ينطق بها غير أنه في كثير من الأحيان يخطئ فكان لا بد له من أدوات يستعين بها على العصمة من الخطأ فكما أن النحو والصرف لا يعلمان الإنسان النطق بل تصحيح النطق فكذلك المنطق لا يعلم الإنسان التفكير بل يرشده الى تصحيح الفكر.¹

لقد هدف الخطاب القرآني الى إيصال الإنسان للمعرفة صحيحة المبنية على الاستدلال الصحيح وبما أن للإنسان قدرة هائلة على التفكير والتدبر وهذه القدرة ألزمته السعي لإيجاد قوانين تنظم هذا التفكير لكن ما يغيب عن ذهن الجميع هو أن هذه القوانين والمبادئ هي فطرية وأصيلية في النفس البشرية وهي الفكرة التي سعى محمود يعقوبي* للتأكيد عليها فالإنسان يطبق هذه القواعد ويمارسها في حياته اليومية دون أن يعلم بها ولا بتسميتها العلمية فالقواعد المنطق الأرسطي هي في الأصل مستمدة من واقع إنساني لا تخالف الفطرة البشرية يقول ابن رشد في شأن أرسطو: «ما أعجب شأن هذا الرجل وما أشد مباينة فطرته للفطر الإنسانية حتى كأنه الذي أبرزته العناية الإلهية لتوقفنا معشر الناس على وجود الكمال الأقصى في النوع الإنساني محسوسا ومشارا إليه بما هو إنسان، ولذلك كان القدامى يسمونه الإلهي»² إذن فالمنطق الفطري الذي يتحدث عنه محمود يعقوبي ليس بمنطق جديد أو بديل للمنطق الأرسطي إنما هو منطق سابق وشارح

¹ محمد رضا المظفر: المنطق، ط3، دار التعارف للمطبوعات، 2006، ص11.

* محمود يعقوبي (1931، بالأغواط الجزائر) هو الأستاذ المنظر في التعليم المؤسس لتعليمية الفلسفة في الجزائر، أستاذ جامعي، مفتش سابق، اهتم بالمنطق والتأليف، تحصل على الماجستير بجامعة الجزائر ببحث عنون ب"ابن تيمية والمنطق الأرسطي"، كما نال شهادة دكتوراه في الفلسفة بدرجة مشرف جدا سنة 1991 بعنوان "مسالك العلة وقواعد الاستقراء عند الأصوليين وجون ستيوارت ميل" له مجموعة من المؤلفات المنطقية أهمها: دروس في المنطق الصوري، المنطق الفطري في القرآن الكريم، خلاصة الميتافيزيقا بالإضافة الى العديد من الترجمات ككتاب جول تريكو: المنطق الصوري وغيرها.

² ابن رشد: تلخيص منطق أرسطو، دراسة وتحقيق: جيرا جهيامي، مج1، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1992، ص22.

لكل أنواع المنطق الأخرى قائم على مبادئ بديهية لولاها لتعذر للعقل البشري إصدار الأحكام إن صدرت كانت فاسدة وهذه المبادئ هي:

مبدأ الهوية: وهو أحد المبادئ الضرورية والقائل بأن $A=A$ أو $ق=ق$ "بمعنى أن كل شيء هو نفسه، وهو المبدأ الذي يمنع الفكر من تصور الشيء موجودا ومعدوما في آن واحد بحيث يبقى المعنى في العقل دائما مكافئا لذاته سواء أكان بسيطا أو مركبا." ¹ يعد أرسطو أول من وضع هذا المبدأ ثم عرفه الإسلاميون منه ومعناه أنه لا يوجد اختلاف بين الحدين، أو عنصري الحكم. وبالتالي فإن مبدأ الهوية يفترض ثبات الجوهر وتغير الأعراض، فهو قانون أصلي وأساسي في الفكر فالحقائق ثابتة مادامت هي هي، ونفس الأمر مع الصفات وغيرها وحتى اللفظ الواحد وإن تكرر، يجب أن يدل في الاستدلال الواحد على نفس المعنى، يقول برادلي* في كتابه المنطق عن هذه الفكرة: «ما صدق مرة يبقى صادقا دائما وما كذب مرة يبقى كاذبا دائما فالصدق ليس مستقلا عني فحسب بل هو غير تابع للأحوال والمصادقات، ولا يمكن لأي تغير في الزمان أو في المكان، ولا لأي اختلاف في الحوادث أو في ظروفها أن تجعل الصادق كاذبا فإذا كان ما أقول صادقا فإنه سيبقى صادقا دائما» ² إن مبدأ الهوية على حد تعبير محمود يعقوبي أساس للتفكير المنطقي فهو يشير إلى ضرورة التقييد بذاتية مدلول اللفظ الذي نستخدمه فلا تيم الخلط بين الشيء وغيره ولا نضيف له ما ليس فيه.

مبدأ عدم التناقض: وهو أحد المبادئ الأساسية التي يعمل بها العقل، وهو أوثقها وقد عبر عنه أرسطو بقوله: «من المحال أن يكون المحمول الواحد ثابتا للموضوع الواحد ومنفيا عنه في آن الواحد ومن جهة واحدة» ³ وقد عبر عنه الإسلاميون بقولهم (التقيضان لا يجتمعان) وصورته الجبرية أ أو لا أ في الآن عينه، فلا يمكن للشيء أن يكون (هو وليس هو) في الوقت نفسه، أي استحالة الجمع بين المتناقضين وكذا استحالة أن يوصف الشيء بصفة ونفيها في وقت واحد، فهو ليس مكتملا لمبدأ الهوية فقط بل يتجاوزه ليعبر عن الحقيقة الواحدة

¹ محمود يعقوبي: دروس المنطق الصوري، ص 17.

* برادلي، فرنسيس هربرت (bradley, francis herbert, 1846-1924) فيلسوف انكليزي. أتم دراسته في أوكسفورد أستاذ مساعد في مرتون كوليج تأثر بمنهج كانط النقدي وبالجدلية الهيغلية، يعتبر من أنبل أساطير ال قرن 19، من أعماله الظاهر والواقع، محاولات في الحقيقة والواقع، دراسات في الأخلاق، مبادئ المنطق، يطلق على مذهبه مثالي.

² نقلا عن: محمود يعقوبي: دروس المنطق الصوري، ص 17، 18.

³ نفسه، ص 18.

وهي لا تتناقض فيؤكد على انسجام الوحدة في التصور أو في الحكم وتطابقها في الفكر بحيث لا تتحول إلى نقيض.¹

وقد عبر الساوي* أيضا في كتابه "البصائر النصيرية" بقوله: «هو اختلاف قضيتين بالسلب والإيجاب بحيث يلزم عنه لذاته أن تكون إحداها صادقة والأخرى كاذبة. وإنما تكونان كذلك إذا اتفقت القضيتان في الموضوع والمحمول لفظا ومعنى واتفقتا في الكل والجزء والقوة والفعل والشرط والإضافة والزمان والمكان»²

المبدأ الثالث المرفوع: وقد عبر عنه أرسطو في كتاب "الميتافيزيقا" بأنه لا وسط بين النقيضين وعبر الإسلاميون عن صيغته العامة: النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، ويسمى أيضا بمبدأ التردد بين الطرفين وهو ما يصدر عنه حكم انفصالي. وصورته الجبرية هي إما أن يكون أ أو لا أ فهو ينفي وجود وسط بين الإثبات والنفي فالحكم إما صادق وإما كاذب، فكل الأحكام التي نستخدمها في حياتنا اليومية مزدوجة تتضمن الإثبات والنفي. مثال: إذا قلنا أن الشيء أكبر فهو يتضمن نفي أن الشيء أصغر فإذا كان "الشيء هو نفسه" طبقا لقانون الهوية، وكان طبقا لقانون عدم التناقض أن نصف شيء واحدا بأنه هو نفسه وليس نفسه، لاستحالته منطقيا فلا وسط بين بين النقيضين، فيترتب عنهما قانون الثالث المرفوع وهو قانون الوسط المرفوع أو الثالث الممتنع، وهو أيضا "عدم وجود حالة أو احتمال ثالث فيما أن يكون الشيء موجودا وإما أن يكون معدوما"³ فعندما تكون هناك قضيتين متناقضتين فهذا يعني أنه لا يوجد وسط بينهما.

مبدأ السبب الكافي: ومعناه أن كل شيء يحدث لسبب، وقد عبر عنه ليبنيثس** leibniz بقوله: «لا شيء يحدث بدون سبب كاف له، أعني أنه لا شيء يحدث دون أن يستطيع من يدرك الأشياء إدراكا كافيا أن يعطي السبب الكافي ليبين لماذا جاء الشيء هكذا وليس خلاف لذلك»⁴ فهو المبدأ الذي يحدد

¹ نقلا عن: علي سامي النشار: المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، ص 84، 85.

* هو عمر بن سهلان زين الدين الساوي، ويعرف بالقاضي الساوي، حكيم، من أهل ساوة بين الري وهمدان، استوطن نيسابور وتعلم بها، توفي حوالي 540 هـ، ومن آثاره: البصائر النصيرية في المنطق لم تكمل، كتاب في الحساب، ورسالة الطير.

² نقلا عن: محمود يعقوبي: دروس المنطق الصوري، ص 18.

³ نفسه، ص 19.

** ليبنيثس Gottfried wilhelm leibniz، فيلسوف وعالم رياضي وسياسي ألماني، أتقن اللاتينية واليونانية، قدم رسالة de arte cornbinatoria التي تعد ارهاصا للمنطق الرياضي وفي 1776 قام باكتشاف رياضي عظيم جعله أعظم الرياضيين، وهو حساب التفاضل منطلقا من فكرة ميتافيزيقية وهي فكرة الكميات اللامتناهية، كان له الفضل في إيجاد الوحدة الروحية لألمانيا في العصر الحديث.

⁴ نقلا عن: محمود يعقوبي: دروس المنطق الصوري، ص 19.

وجود هذا الشيء أو ذاك والسبب الكافي بالنسبة للحقائق العقلية كامن في الحقائق البديهية بخلاف حقائق الواقع فسببها موجود في الله.

مبدأ الغائية: ومعناه أن لكل كائن غاية وهو بمثابة مبدأ السببية، فله طابع الضرورة والقول والبداهة وقد جعل غوبلو Goblot في كتابه المنطق مبدأ الغائية مقابل للسببية، باعتباره ضرب من ضروب تفسير الطبيعة فهو مبدأ كلي يرى أن كل شيء في هذا العالم معلل وبالتالي هي المبدأ الذي تتحرك كل الأشياء بمقتضاه فكل ما هو موجود هو موجود من أجل غاية ما، والغايات الجزئية في العالم هي في الغالب مرتبطة بغاية كلية واحدة وهو مبدأ بديهي، يدرك مباشرة دون الحاجة الى برهان وهو ما أكده أرسطو بقوله: «لا شيء يحدث عبثاً» وعبر عنه ليبنتس بأنه مبدأ العلة الكافية حيث يقول: " سبب كاف حتما يوجد شيء".¹

مبدأ العلية: وهو مشتق من مبدأ السبب الكافي بحيث أن لكل تغير يطرأ سبب ولكل بداية علة فبعض الظواهر الطبيعية سبب في ظواهر أخرى.² لقد وضع محمود يعقوبي في كتابه دروس المنطق الصوري أن مبادئ العقل هي قوانين ضرورية للفكر المنطقي، ولا يكون الفكر البشري سليماً إلا إذا التزم بها فالعمليات العقلية التي يجريها العقل من أجل حل مشكل ما أو أمر طارئ تمر على الإنسان في تفكيره ولا يشعر بها.

¹ نقلا عن: عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، ص79.

² نفسه، ص21.

المبحث الثالث: الخطاب القرآني والمنطق

لقد وجد الإنسان في هذا العالم لا يعرف شيئاً عنه، غير أن ما شهده من تقلبات وحوادث في حياته دفعته الى البحث عن أسباب وكيفية حدوثها ومنبعها الأصلي فتعدد الظواهر اللامتناهية أدت به الى التأمل في منشئها وصانعها أو في القوى التي تحركها والتي تتحكم في هذا الوجود، وإدراك هذه القوى يكون بإعمال التصورات العقلية المحضة وفق نسق منطقي مباشر وعليه أين تتجلى تلك العلاقة بين الخطاب القرآني والمنطق؟

أولاً: العلاقة بين المنطق والخطاب القرآني

لقد جاء الخطاب القرآني كرسالة علمية مخاطبا الإنسانية جمعاء، باختلاف أعمارهم وأعراقهم ومستوياتهم العلمية وطبقاتهم الاجتماعية، صالح لكل مكان وسار في كل زمان، وبما أنه رسالة علمية جاء في شكل خطاب يتوافق مع ذلك التكريم الذي حظي به الإنسان ما جعله مؤهلاً لتلقي الخطاب الإلهي، لقد جعل القرآن الكريم للعقل مكانة كبرى والأساس الأول الذي استند إليه في بناء عقائده وتثبيتها والتأكيد عليها من خلال الحجج القرآنية ليفتح بذلك مجالاً واسعاً للنظر العقلي ولا يوجد كتاب أطلق للعقل نشاطه واهتم بقيمته كالقرآن الكريم يقول في ذلك العقاد: «من مزايا القرآن الكثيرة مزية واضحة، يقل فيها الخلاف بين المسلمين، لأنها تثبت من تلاوة الآيات ثبوتاً تؤيده أرقام الحساب ودلالات اللفظ اليسير، قبل الرجوع في تأييدها إلى المناقشات والمذاهب التي قد تختلف فيها الآراء، وتلك المزية هي التنويه بالعقل، والتعويل عليه في أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف.»¹ إن القرآن يستثير العقل من خلال دعوة الإنسان إلى التفكير في مخلوقات الله في السماوات والأرض، وفي هذا الكون الواسع وما فيه، والتي تعد أدلة وبراهين على وجود الخالق.

ومن هذا المنطلق بين محمود يعقوبي أن الخطاب القرآني قد اعتمد الاستدلال المنطقي القائم على مخاطبة العقل، وجعله قاعدة أساسية في التفريق بين الحق والباطل يقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة الآية 170.

¹ عبد الكريم نوفان عبيدات: الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، ط1، دار الفنائس، الأردن، 2000، ص

لقد وجه الخطاب القرآني نشاطه "الى طرق الاستدلال الخاصة، من استقراء واستنباط وقياس بغية إقناع الجاحد ليصل الى الحقيقة دون إهمال الوجدان قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ الطور الآية 36، 35¹ وهو الأمر الذي جعلنا نتحدث عن التفكير الفلسفي إذ تقترن نشأته بذلك الاندفاع الطبيعي في الإنسان الى التفلسف والخوض فيه "فظهر الإسلام عند العرب لفت نظرهم إلى التفكير الميتافيزيقي ما جعلهم يتأملون في صفات الله وخلود الروح وبعثها وكان الأصل الذي ارتكزوا عليه هو القرآن الكريم قبل احتكاكهم بالفلسفة اليونانية"² فمعظم الآيات القرآنية تحث على التأمل في الكون وقد بين محمود يعقوبي ذلك الجانب الذي أعطاه الخطاب القرآني "لكل من يريد النظر في أصول عقيدته باعتباره خطاب موجه للعقل مقيما بذلك الأدلة العقلية على الألوهية، فمنهج المعرفة بأصول الخطاب هو منهج عقلي وبما أن تعاليم الإسلام عند يعقوبي قائمة على الاقناع العقلي بالحجة المنطقية، والبرهان فإن دعوته لم تقتصر على النقل فقط كما ورد في التوراة والأنجيل التي اعتمدها بعض المفكرين المسيحيين، أمثال أوغسطينوس من خلال رسالته (آمن كي تعقل) بل تجاوزها الى اعتماده على المنطق (العقل) فالخطاب القرآني خطاب منطقي فطري قائم على الحجة العقلية التي لا يمكن أن ترد إلا في بنية منطقية، جاء الخطاب القرآني في أكمل صورته، ليصوغ للحياة الإنسانية مبادئها حتى عصورنا الحاضرة، والمنطق الفطري الذي نحن بصدد الحديث عنه لا يعدوا أن يكون إلا تلك الأصول العقلية الأولى التي يقوم عليها كل عمل عقلي، استطاع من خلاله القرآن الكريم إثبات عقائده وابطال العقائد الأخرى فقد أورد الله تعالى في الخطاب القرآني أدلة وحجج لها صور منطقية فطرية، ولم يستعمل تلك الصور الملتوية التي يتم ذكرها في العديد من كتب المنطق والتي لا يستعملها عامة الناس كما أن الفطرة لا تطمئن إليها.

يرى محمود يعقوبي أن قواعد المنطق الفطري المحايث، جاءت وفق نسق القواعد التي ضبطها أرسطو ومن جاء بعده، بالرغم من عدم انتشار العلوم اليونانية في الجزيرة العربية في ذلك الوقت، وبعيدا عن حركة الترجمة فالأصل أو المنبع الذي جاءت وفقه هذه القواعد هي الذات الإلهية في صورتها المطلقة يقول في ذلك سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الاسراء الآية 88.

¹ عبد الكريم نوفان عبيدات: الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، ص 90، 91.

² علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، ط9، دار المعارف، القاهرة، د: ت، ص60.

مؤكداً أن القرآن الكريم لو كان من صنع البشر لاستطاعوا أن يصنعوا مثله ولكن لم يستطيعوا صنع مثله اذن فليس القرآن من صنع البشر¹ كما أن قواعد المنطق الأرسطي جاءت كنتيجة لاستقرائه للفطرة الإنسانية.

لقد اندفع الصحابة الأولون الى فكرة القياس، كقياس الأشباه بالنظائر، والأمثال بالأمثال وقد تولد من المنطق الفطري جملة من العلوم الإسلامية العقلية هي علم الكلام، وعلم أصول الفقه كما أن القياس هو أصل الرأي ومصدر الفقه، فهو ميزان لمعرفة أحكام الوقائع التي لم يرد فيها نص ولا إجماع. فيقوم علم الكلام بدراسة مسائل الإسلامية من خلال إيراد الأدلة وعرض الحجج لإثباتها ومناقشة الآراء المخالفة له ودحضها بالحجة والبرهان " فيعرف علم الكلام: على أنه علم الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، ويسمى أصحابه بالمتكلمين.

أما أصول الفقه: وهو القواعد التي نتوصل بها الى استنباط الأحكام من أدلتها أو هي القواعد الموصلة بذاتها الى استنباط الأحكام وهو منهج الفقه ومنطقه. وعليه فإن علم الكلام يقوم على إثبات العقيدة الدينية عن طريق الأدلة العقلية من خلال توضيح أصول العقيدة وشرحها وتدعيمها فهو علم دفاعي للرد على دعوى الخصوم المنكرين للعقيدة الإسلامية. فعلم الكلام أحد العلوم المستمدة من القرآن الكريم ليتناول مسائل العقيدة بالبرهان مثل إثبات وجود الله وغيرها، وعلم أصول الفقه هو الآخر أحد العلوم المستنبطة من القرآن الكريم وهو يصب في قالب منطقي فيرى ابن رشد "إن صناعة الفقه من حيث هي صناعة متشعبة ومعقدة يحتاج الناظرون فيها من المتأخرين إلى قوانين تحوط أذهانهم وتمنعها من الخطأ فعلم الأصول ما هو إلا تلك القوانين التي تسدد العقول نحو الصواب. وقد قسم ابن رشد العلوم إلى ثلاث: علوم غايتها الاعتقاد الحاصل في النفس كالعلم بحدوث العالم وما شابهه، علوم غايتها العمل وهي كلية وبعيدة عن إفادة العمل، وإما جزئية وقريبة في إفادة العمل وعلوم تعطي القوانين والأحوال التي بها يتسدد الذهن نحو الصواب وفي هذا الصنف الأخير يوضع أصول الفقه باعتباره الآلة المنطقية التي يضبط بها الفقيه أحكامه وفتاويه".² وبالتالي فإن أصول الفقه بالنسبة لابن رشد آلة منطقية يضبط بها الفقيه

¹ محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 134.

² ابن رشد: الضروري في أصول الفقه، تقديم وتحقيق: جمال الدين العلوي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994، ص 24.

الأحكام والفتاوى، التقليدي السائد لدى الأصوليين، فيصنفه ضمن علوم الآلة، فلا هو بالعلم النظري ولا العملي بل مجموعة من القوانين التي تسدد العقول نحو الصواب.

إن أصول الفقه أحد العلوم المتولدة عن المنطق فعلم الفقه ليس له أصول نقلية فقط والمتمثلة في الكتاب والسنة بل له أيضا فلسفية من خلال القياس والإجماع وبالتالي فإن الممارسة الفقهية تتم وفقا لتأسيس بناء نسقي تتحدد فيه الآليات والمفاهيم ذات طبيعة فقهية. وبعبارة أخرى، أن التصور ابن رشد للعمل الفقهي يؤكد على تلك العلاقة بين علم أصول الفقه والمنطق.

ومن خلال ما تمت معالجته في هذا الفصل يتضح لنا أن جل التعريفات التي وضعت للمنطق تؤكد على أنه علم قوانين الفكر فهذا الأخير يعمل وفق قوانين معينة يستفيد منها ويستثمرها وقد كان للتعريف الأرسطي أثر بالغ خاصة في العصور الوسطى فلم تأتي بشيء مخالف لما ورد عن أرسطو.

إن المنطق الأرسطي ابداع وعبقريه فذة من قبل أرسطو غير أن هذا لا ينفي وجود منطلقات سابقة شكلت الأرضية الأولى لنشأته فالأصول الأولى لهذا المنطق هي أصول فطرية في العقل الإنساني لا تخالف الفطرة قبل أن تكون من أصل فلسفي وحكرا على الفكر اليوناني، وهو ما أكده محمود يعقوبي من خلال المنطق الفطري الذي يعد أصل جميع أنواع المنطق كما أنه السابق والشارح لها جميعا.

ان المنطق الفطري عند محمود يعقوبي هو تلك المبادئ والأصول العقلية الأولى وهو ليس صوري فقط بل هو عملي أيضا ومبادئ هذا المنطق فطرية جعلها الله سبحانه وتعالى مركزه في النفس البشرية كما أن وجودها غير متوقف على تجارب أو معارف خارجية فيجد الانسان نفسه مسلما به تلقائيا كما هو ظاهر في الخطاب القرآني فالحقيقة التي يسعى للوصول اليها حقيقة واحدة عند كل العاقلين بالرغم من تلك الاختلافات في نسبة الذكاء والفهم من شخص لآخر.

يؤكد محمود يعقوبي على أن الخطاب القرآني جاء وفق قواعد منطقية وهي قواعد فطرية لا يتوقف وجودها عند بني البشر على الاكتساب والتعلم وهذه القواعد جاءت وفق القواعد التي ضبطها أرسطو ومن جاء بعده وبالرغم من عدم انتشار العلوم اليونانية في الجزيرة العربية فالمبادئ المنطقية التي صاغها أرسطو كانت نتيجة لاستقراءه لما في الفطرة البشرية السليمة.

الفصل الثاني

فطرية المنطق عند محمود يعقوبي

المبحث الأول: المنطق القرآني

المبحث الثاني: الخطاب القرآني ومنطق اللغة

المبحث الثالث: آيات الخطاب القرآني

المبحث الأول: المنطق القرآني.

لقد خلق الإنسان بطبيعة مفكرة، وأخذ تفكيره في التطور تبعاً لتطور الحياة واتساع رقعتها، وكذا لتعدد مشاكلها، فكان طبيعياً أن يختلف التفكير من عصر الى عصر ومن مكان الى مكان نظراً لتغير ظروف الحياة في البيئات المختلفة فنظرة البدائي الى الظواهر الطبيعية وتعليله لها على سبيل المثال تختلف عن نظرة المتحضر لها وعلى هذا الأساس جاء الخطاب القرآني بمنهج شامل لكل مجريات الحياة وما يطرأ عليها من متغيرات في كل العصور فما الذي يجعل من الخطاب القرآني وعاء شاملاً للفكر الإنساني؟

أولاً: الفطرة والقرآن الكريم

إن القرآن الكريم هو دين فطرة لا تتعارض شعائره مع المنطق القويم والعقل السوي والفطرة المستقيمة لأي إنسان وإن كان من غير المسلمين فقد عظم الخطاب الاسلامي الفطرة وجعلها الأساس لأي دليل عقلي فكان بذلك، مكماً للفطرة الانسانية ومذكراً بما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾¹ الغاشية الآية 21 فيوضح محمود يعقوبي هذه الفكرة مؤكداً أنه يمكن لأي إنسان أن يهتدي بفطرته الى أصول هذا الخطاب لأن مبادئه أولية تلائمه وتحيط بنفسه من جميع أقطارها، لأنه يخاطب فيها الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي تعرف على أنها الجبلية التي يكون عليها كل موجود أول خلقه قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ ويقول ابن سينا: "ومعنى الفطرة أن يتوهم الانسان نفسه حصل في الدنيا دفعة، وهو بالغ العقل، لكنه لم يسمع رأياً، ولم يعرف سياسة، لكنه شاهد المحسوسات، وأخذ منها الخيالات، ثم يعرض على ذهنه شيئاً ويتشكك فيه، فان أمكنه الشك فالفطرة لا تشهد به، وان لم يمكنه الشك، فهو ما توجهه فطرة الانسان بصادق، بل كثير منها كاذب، انما الصادق فطرة القوة التي تسمى عقلاً" وهي ما فطر وأبدع الله تعالى في الناس من معرفته، يقول تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة"¹، بمعنى الخلقة التي فطر عليها في الرحم من سعادة أو سقاوة، ويقال أيضاً: كل مولود يولد على الفطرة التي فطر عليها بني آدم حين أخرجهم الله من صلب آدم قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾² وبالتالي

¹ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، مادة الفطرة، ص 150، 151.

² ابن منظور: لسان العرب، مادة الفطرة، مج5، ص 56، 67.

فإن المتتبع لطرق القرآن في مخاطبة النفس البشرية، وكذلك طرق الجدل مع أولئك العناديين سيلاحظ أن تركيز الخطاب كان على استثارة الفطرة فيهم وتذكيرهم بخالفها لأنها مهياة لأن تهتدي إلى أصول الإسلام، وكما توجه الخطاب إلى العقول بأمور وحقائق لم تكن بعيدة عن البديهيات التي يؤكدتها الخطاب القرآني، لتكون بذلك الفطرة هي تلك القوة التي خلق الله سبحانه وتعالى عباده عليها من معرفة للإيمان أي ذلك الاستعداد الفطري الذي خلقه تعالى في الانسان لمعرفة الحق وقبوله ومعرفة الباطل ورفضه.

ثانيا: المنطق والفطرة

إن المعارف الفطرية هي تلك المعارف التي لا تحتاج إلى تلقين ولا إلى تعليم ولا لاكتساب فهي ملازمة لخلقة الإنسان مرادفة له منذ بداية تكونه ووجوده بشكل طبيعي وهي واحدة موجودة عند كل البشر، ومنه فإن محمود يعقوبي سعى في حديثه عن المنطق الفطري إلى التأكيد على أن "المراد به هو تلك القدرة الطبيعية على اثبات المطالب العقلية وفقا لقوانين الاستنتاج الصحيح دون سابق تعلمها لأن هذه القوانين موجودة في النفس البشرية في صورة مبادئ تعتمد عليها أبسط عمليات الاستنتاج منذ انطلاقتها الأولى¹" وحديثنا عن فطرية المنطق والأفكار يعني خوضنا في ذلك الجدل الحاصل بين الفطريين والتجريبيين حول فطرية المعارف، فيرى أنصار المذهب الفطري أن المقصود بالأفكار الفطرية: هي تلك البديهيات الحدسية التي يؤمن بها كل إنسان عاقل لأن صحتها لا تثير أدنى شك وهي موجودة في عقل كل إنسان تتصف بالوضوح المطلق، وهي جملة القوانين التي أقامها الله في الطبيعة وطبع على نفوسنا معرفتها من دون كسب أو تحصيل فالأفكار الفطرية هي أفكار توجد في العقل الخالص مصدرها الله أودعها الله في عقل الإنسان تتميز بالبدهة والوضوح كما أنها لا تتعرض للشك لأنها لا تعتمد على الحواس فهذه الأخيرة خادعة ومركبة تحتاج إلى التحليل والبرهنة بخلاف الأفكار الفطرية فهي بسيطة كما أنها معرفة كاملة.

إن العقل يملك تصورات لا تنشق عن الحس وهي مبادئ فطرية بديهية وواضحة لذلك فإن العقل ملكة فطرية موزعة بين جميع الناس بالتساوي فالفطرة عند ديكارت مرادفة للعقل لذا قال ديكارت في كتابة مقال حديث الطريقة: «أن الصواب أعديل أشياء الكون توزعا بين الناس إذ أن كلا يعتقد أنه قد أوتي منه الكفاية، بحيث إن أقل الناس قناعة بكل الأشياء الأخرى قد ألفوا عدم الرغبة في الحصول منه على أكثرهم مما لديهم. وليس من الجائز أن يكونوا كلهم قد أخطأوا في ذلك، بل هو دليل على أن المقدره على الحكم الجيد والتمييز بين الحقيقة والخطأ، وهي ما يسمى على وجه التحديد صوابا أو عقلا»²

¹ محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص8.

² رينيه ديكارت: حديث الطريقة، تر: عمر الشاروني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ص 41، 42.

إذن فالعقل ملكة فطرية موزع بين كل الناس بالفطرة بشكل متساوي والاختلاف يكمن في الطريقة استخدامه وعليه وضع ديكارت قواعده الأربع لحسن استخدام العقل وهي (قاعدة البدهاة، قاعدة التحليل، قاعدة التركيب، قاعدة الإحصاء).

يؤكد محمود يعقوبي أنه يمكن للإنسان وبالرغم من عدم تعلمه ومعرفته لصناعة المنطق أن يستدل استدلالاً صحيحاً. غير أن هذا الرأي قد لقي معارضة من قبل التجريبيين ليسلك جون بياجي (Piaget Jean) منحى آخر وهو موقف يدعم طرح يعقوبي فيقر جون بياجي "بفطرية المعارف المنطقية ويرى أنها موجودة وبصورة طبيعية في الذهن لكنها تتجلى بالممارسة والانطباع بالوقائع، فالمنطق الطبيعي هو منطق يمكن لأي إنسان ذو عقل سليم أن يمارسه بالرغم من احتكاكه بالوقائع والتي قد تؤثر في نوع المعرفة المنطقية لكنها لا تؤثر في طبيعتها. لتكون بذلك تلك المبادئ المنطقية واحدة لدى جميع الناس"¹ فالمعارف المنطقية هي معارف إنسانية فطرية تعبر عن تلك القوانين والمبادئ الغير مكتسبة، والضرورية لكل إنسان فتكون مرافقة له منذ بداية تكونه بشكل طبيعي، وبالتالي فإن وجودها عام لدى كل البشر، ويمكن لنا أن نوضح فكرة الأصول الدينية للمنطق من خلال ما ذهب إليه ديكارت وغيره فقد أثبتت العديد من الدراسات وآراء المفكرين أن معرفة الله فطرية، واعتبروا أن التدين والميل إلى الله من الخصائص النفسية للإنسان وأطلقوا عليه "الشعور الديني، والعاطفة الدينية" كما أن معرفة الله قد اعتبرت أيضاً من مقتضيات الفطرة الإنسانية، والدافع الفطري لعبادة الله هو من الدوافع الشعورية، كذلك الدافع الفطري لمعرفته أيضاً غير شعورية.

نجد صدى هذه الفكرة وفي قول هيجل: «إن الدين هو ذلك النطاق للحقيقة الأبدية والراحة الأبدية والسلام الأبدي ونحن نتحدث بصفة عامة فإنه من خلال الفكر، الفكر العيني، أو لطرح المسألة على نحو أكثر تحديداً فإنه بفضل أن الإنسان روح يكون الإنسان إنساناً، ومن الإنسان باعتباره روحاً تنطلق التطورات العديدة للعلوم والفنون ومصالح الحياة السياسية وكل تلك الظروف التي لها صلة بحرية الإنسان وإرادته... وكل ما يسعى إليه لسعادته وعظمته وفخاره يجد محوره الأرقى في الدين وفي الفكر وفي الوعي والشعور(الله)ومن ثم فإن الله بداية كل الأشياء وخاتمة كل الأشياء»² ومنه فالإنسان كائن متدين

¹ محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 9، 10.

² فريدريك هيجل: محاضرات فلسفة الدين، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، د:ط، دار الكلمة، مصر، ص 23.

بالفطرة فهو قد خلق ببناء روحي وفطرة وحاجة أصيلة الى وجود رب يرعاه بالإضافة الى أن الانسان يدرك الله سبحانه وتعالى بعقله فهو أيضا يحس بحاجة باطنية الى وجوده فلا وجود لأمة من الأمم أنكرت وجود آلهة أو اله فمنذ القدم خلق الانسان لنفسه آلهة وعبدها.

المعرفة بالله تكون على نحوين: المعرفة الحضورية والمعرفة الحسولية، "إنّ العلم الحضورى هو إدراك الأمور والمعارف دون واسطة ذهنية، أما ما يدرك بواسطة ذهنية يسمى علم حصولى"¹ وعليه فإن العلم الحضورى في صورته الفطرية غير اكتسابي وخارج عن دائرة اختيار الإنسان وإرادته، فيتعرف الإنسان على الله من طريق نوع من الشواهد الباطنية والقلبية من دون توسط المفاهيم الذهنية، فالادراك الفطرى لدى أغلب الناس هو مجرد استعداد ومادة أولية، وبوسع من توفرت لديه أن يخرجها من الاستعداد الى الفعل. أما المعرفة الإلهية الحسولية فإنها تشمل التصديق بأصل وجود الله تعالى وتوحيده، وسائر اسمائه وصفاته وأفعاله التي وردت في القرآن الكريم فإثباتها ومعرفتها عقلية عينية واضحة، وبالتالي "فإن الإنسان السليم ينتقل من إيمانه بالفطرة إلى إيمانه القائم على البرهان لأن الإيمان الصحيح هو عملية منطقية فكرية قبل أن يكون شعور وجداني فلا يخلص الإنسان الى تعاليم الخطاب القرآني إلا إذا كان لديه دليل العقلي المنطقي بحيث لا يمكن إنكاره، فمعطيات المنطق القرآني لا تتعارض مع بذور إيمان الفطرة التي وضعها الله سبحانه وتعالى في نفوس عباده فكل دعوة لا تلتزم طريق العقل والمنطق لا تنتج إلا إيمانا تقليديا. فالإنسان بما هو إنسان وبما أودعه الله فيه من عقل مفكر مفطور على الإيمان الذي من خلاله يهتدي الى البرهان بربوبية الله"².

لقد أكد محمود يعقوبي أن الإيمان الصادق، هو خيار لكل عقل ومنطق سليمين، والالتزام بتعاليم الخطاب القرآني، كان بشكل تلقائي لأن تعاليمه فطرية لا تتعارض مع المنطق، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في خطابه إلى إتباع طرق العقل والمنطق، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة الآية 163. وبالتالي فإن المعرفة الإلهية تحصل باستخدام المفاهيم والتحليل الذهني والاستدلال العقلي فهي إحدى القضايا البديهية التي يكفي لتصديقها تصور الموضوع والحمول والنسبة بينهما أن الاستدلال الذي يمارسه أي إنسان هو عبارة عن قواعد عامة تعتبر معايير للتمييز صحيح الاستدلال

¹ محمد الحسيني البهشتي: المعرفة الفطرية، تر: لجنة الهدى، ط1، دار الهادي للنشر والتوزيع، لبنان، 2007، ص125.

² عدنان الشريف: من علم القرآني، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1987، ص15، 16.

وفاسده، أما المعرفة الإلهية فهي حصولية وحضورية حاضرة في الذهن كمعطى فطري أولي وحصولية تكتسب عن طريق الاستدلال والبرهان العقلي. وبناء عليه فإن حديثنا عن المنطق القرآني هو منطق فطري استخدم لإثبات عقائد الاسلام، فقد جاء القرآن الكريم وفق منهج فريد ومتكامل جمع بين الفطرة والعقل، وكذا الجدل في الرد على الانحرافات واثبات عقيدة الاسلام تلك العقيدة الصحيحة التي تكفل الله بحفظها.

شهد الانسان ومنذ القدم تساؤلات شغلت فكره فكانت ولا زالت تلك التساؤلات تشغل الفكر الانساني وتثير قلقه وحيرته لعل من أبرزها:

خلق الكون؟ من خلقه؟ لماذا خلقنا؟ ما علاقتنا بالذي خلقنا؟ هل توجد حياة أخرى؟ يرى أن الفطرة السليمة قد توصل الإنسان إلى إيجاد تلك الإجابات والاهتداء إليها وان لم يصغي الى تلك الفطرة فقد ضل وهو الضلال الذي يمكن أن نستشهد بإيليا أبو ماضي كمثال عليه في قصيدته "طلاسم عليه:

يقول: جئت، ولا أعلم من أين، ولكنني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

وسأبقى سائرا ان شئت هذا أم أبيت كيف جئت؟

وكيف أبصرت الطريق؟"

وعن الموت يقول: إن يكن الموت قصاصا! أي ذنب للطهارة؟

وإن كان ثوابا، أي فضل للدعارة؟

وإذا كان وما فيه جزاء أو خسارة؟¹

فلم الأسماء إثم وصلاح؟

"أوراء القبر بعد الموت بعث ونشور؟

فحياة، فخلود، أم فناء فثور؟

أكلام الناس صدق أم كلام الناس زور؟

¹ عدنان الشريف: من علم القرآني، ص 15.

أصحيح أن بعض الناس يدري؟

وإن أكن أبعث بعد الموت جثماننا وعقلا

أترى أبعث بعضا أم ترى أبعث كلا"1

"أترى أبعث طفلا أم ترى أبعث كهلا؟

ثم هل أعرف بعد البعث ذاتي؟

إن هذه التساؤلات الفلسفية بقيت خالدة بداية بسقراط بقوله: «الشيء الذي لا أزال أجهله جيدا أنني لست أدري»² إن الحل الذي قدمه محمود يعقوبي يكمن في المنطق الفطري فهو تلك الرابطة المنطقية والقوية بين الفطرة الإنسانية والشريعة الإسلامية، فالبناء المنطقي الذي جاءت وفقه مختلف الآيات القرآنية بناء لا يرفضه أي منطق عقل سليم قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ الطور الآية 35، 36.

لقد شنت العقيدة الإسلامية بمنطقها حربا على التقليد والظن وسنت طريق الدعوة والتفاهم عن طريق الجدل الذي يعد إحدى أقوى وسائل الإقناع فالخطاب القرآني لم يعتمد على حشو الأدمغة وقبول أي فكرة دون استخدام العقل فعمل على إيقاظ العقل وتحريكه من الجمود قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة الآية 171

ويقول أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ الحج الآية 73. يتضح من الفكرة التي دعي إليها محمود يعقوبي أن الفطرة السليمة تشهد بوجود الله فالعقل الذي أودعه الله فيه، والفطرة التي جبل عليها تشهد بوجود الله لأن توحيده أمر فطري بديهي بناء على منطق هو في حقيقة الأمر متأصل في النفس الإنسانية، فالمعارف القرآنية هي معارف جاءت وفق آلية منطقية محكمة الصنع يحصل العلم بالعديد منها بالفطرة.

¹ عدنان الشريف: من علم القرآني، ص 17.

² نقلا عن: عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله، ص 18.

المبحث الثاني: الخطاب القرآني ومنطق اللغة.

من المعروف أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يعبر عن أفكاره في كلمات ينطقها، ومن هنا تظهر تلك الصلة المتينة بين التفكير المنطقي وبين اللغة ففيما تتمظهر تلك الصلة بين الخطاب كفكر وبين اللغة كأداة تبرزه وعلاقتها بالمنطق؟

أولاً: اللغة والخطاب

يمثل الخطاب القرآني كينونة هي المصدر الأول توجه برسالة كاملة استطاع من خلالها ابتكار أساليب تواصلية، فعالة، ومنطقية ما جعل النفس البشرية تتفاعل معها لذلك فإن التفكير المنطقي لا يمكن أن يتجلى إلا من خلال ذلك التعبير اللغوي فمعظم الاستدلالات التي تجري لدى عامة الناس تتم صياغتها في اللغة، لتتكامل اللغة مع العقل لإثبات أفضلية الإنسان على غيره من المخلوقات كما اقتضت الحكمة الإلهية. لقد اتخذ المنطق الأرسطي اللغة وسيلة لبناء قواعد تفسيره السليم فيري محمود يعقوبي "أن معرفة صور المنطق الفطري في القرآني الكريم لا يمكن أن تحصل إلا من خلال معرفة عناصر لغة الخطاب القرآني وقواعد نظمها"¹ باعتباره خطاب معجزة من حيث فصاحته وبلاغته وفطريته وتراكيبه، فواجب المنطق هو تحليل اللغة والتمييز بين الألفاظ وأنواع العبارات والأقوال ومن ثم استخلاص النتائج بعد توفر الترتيب المنتظم للأقوال والقضايا فإذا تحقق ذلك أصبح التفكير سليماً وملتزماً بقواعد منطقية وقوانين تعصمه من الوقوع في الزلل إذن فالمنطق يتعلق بتلك الأفكار التي تتضمنها هذه اللغة.

الخطاب القرآني خطاب لغوي موحى به الى النبي (ص)، منزلاً من الله سبحانه وتعالى فهو كلام الله، وهو الأمر الذي يميزه عن سائر كلام البشر، فالقرآن بهذا الاعتبار خطاب يتصف بنوع من الازدواج، فمن جهة مصدره علوي مجرد عن الواقع بما يحمله من معاني الوحي، لكنه من جانب آخر لا يبعد عن الواقع الإنساني، فحديثنا عن صلة المنطق بالخطاب القرآني يضعنا أمام اشكال سعى محمود يعقوبي الى إزالته والذي يتمحور حول: هل الصور المنطقية التي نبحت عنها هي صور منطقية باعتبار المرسل الذي هو الله عز وجل أم هي باعتبار المتلقي الذي هو الإنسان عامة؟

¹ محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 16.

إن الخطاب القرآني هو خطاب تبليغ مرسل من رب العالمين، إلى مرسل اليه هم بني البشر كافة فهو خطاب تجسد في لغة إنسانية فيرى محمود يعقوبي أن مصدر الخطاب القرآني لا يعني عدم قابليته للتحليل وبالرغم من مطلقه هذا الخطاب إلا أنه ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار ذلك " الفارق بين الموحى والموحي اليه فالعقل الانساني لا يمكن له معرفة الكيفية التي يحصل بها الكلام من الله اذا اعتمد في ذلك على تلك الكيفية التي يحصل بها الكلام بين الناس، كما أن الصور المنطقية في القرآن الكريم تقوم على أساس اعتبارنا لمعاني القرآن من حيث هي متلقاة في لغة يفهمها البشر ومن حيث هي واردة في مبان يدرك منها الناس المعنى المراد تبليغهم إياها."¹

إن الحل الذي قدمه محمود يعقوبي لفك الإشكال الحاصل حول اللغة التي نزل بها الخطاب المنطقي القرآني، قد تركز حول فكرة أساسية فيرى أنها لغة التي نزل بها القرآن الكريم هي لغة محايدة لطبيعة البشر الذين يستقبلون ذلك الخطاب وليس من الضروري أن تكون تلك الصور لدى الانسان هي مثلها عند الله لأن هذه الصور مناسبة لمتلقيها، وليست صادرة عن إرادة الذات الإلهية باعتبار أنها صور يستعملها عامة الناس من حيث هم ذوو طبيعة مغايرة لمصدر الخطاب. والرسول صلي الله عليه وسلم ما هو إلا مبلغ لذلك الخطاب الذي تلقاه بالوحي وهذا التبليغ يكون بلغته عليه أفضل الصلاة وأزكى تسليم فقد "بلغ الله مشيئته للجنس البشري عبر الأنبياء باستخدام اللغات البشرية التي يكمن للشعب المعني أن يفهمها ولكنه في حالة أخرى هو تجل للوحي عبر النبي محمد، فانه بين كلماته بلغته الخاصة بالذات، وبنحوه وبلاغته، ومعجمه اللفظي بالذات وكانت مهمة النبي تكمن فقط في تلفظ بالخطاب الموحى به اليه من الله كجزء من كلام الله الأزلي اللانهائي، غير المخلوق."² وهذه اللغة هي العربية، ليصل محمود يعقوبي الى فكرة مفادها أن العلاقة بين الوحي واللغة المنزل بها علاقة المعنى باللفظ المعبر عن هذا المعنى، فالمعاني التي يحملها الخطاب جاءت بلغة يفهمها البشر وعليه فإن لغة الوحي الحاملة للصور المنطقية هي اللغة المناسبة للإنسان، وبما أن هذا الخطاب هو خطاب عالمي للناس كافة فإن الصور التي يستعملها هي صور مستعملة من طرف كافة البشر باعتبار أنهم من طبيعة واحدة مخالفة لماهية المصدر.

¹ محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص18.

² محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ص19.

ثانيا: اللغة والمنطق

يؤكد محمود يعقوبي في حديثه عن تلك العلاقة الضمنية بين اللغة والمنطق بأن لغة الوحي هي لغة بشرية وبالتالي فإنها قابلة للترجمة من لغة الى لغة أخرى لأن الصور المنطقية هي صور عقلية مستقلة من أوعيتها صالحة للنقل التام فهي نابعة من الفطرة البشرية فالخطاب القرآني بما هو خطاب عالمي موجه للناس كافة قد آثار العديد من التساؤلات لعل من أبرزها سبب نزول القرآن الكريم بلغة خاصة يقوم وهو ما يتناقض مع عالمية هذا الخطاب؟

فيرى الإمام فخر الدين الرازي* في "تفسيره الكبير" أنها إحدى حجج طائفة من اليهود فزعموا أن الديانة المحمدية خاصة بالعرب.¹ إن الدين الإسلامي قد جاء مكتملا لما قبله من الديانات الأخرى والخطاب القرآني قد أكد على ذلك بآيات كريمة كثيرة: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سورة ال عمران الآية 67. ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ يونس الآية 84. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ سورة آل عمران الآية 52. ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة الآية 136.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آل عمران الآية 19 والإجابة عن هذا التساؤل يجعلنا نقف عند سبب نزول القرآن باللغة العربية دون غيرها من اللغات "فقد توصل العديد من الباحثين الى أن اللغة العربية هي الأكثر احتفاظا بكل ماله صلة باللغة الأم فيرون أن جزيرة العرب هي الموطن الأصلي للساميين وأدلتهم في ذلك هي: أن سام بن نوح قد حل هو وأولاده بجزيرة العرب، الهجرات منذ فجر التاريخ الى المواطن السامية كان مصدرها شبه جزيرة العرب، فلم يعرفوا في غيرها إلا وافدين من الخارج أو غزاة فاتحين وجدوا شعوبا من أجناس أخرى قد سبقتهم".²

* فخر الدين أبو عبد الله بن عمر بن الحسين الرازي (544-606هـ) لقب بشيخ الاسلام دارت بينه وبين المعتزلة مناظرات حاول التوفيق بين مختلف تيارات الفكر في الاسلام. كان أشعريا وخصما للمذهب الذري، من مؤلفاته: إبطال القياس، الملل والنحل، المحصل في مذاهب الحكماء والمتكلمين، مباحث شرعية، خلاصة كبرى في علم الكلام، مفاتيح الغيب، المناظرات.

¹ محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص20.

² عبد الجليل عبد الرحيم: لغة القرآن الكريم، ط1، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، 1981، ص31.

ويتضح بذلك أن "اللغة العربية قد نشأت في أقدم موطن للساميين (وهو الجزيرة العربية في أرجح الآراء) فترجع أصول العربية الفصحى إلى العدنانيين الذي قطنوا في شمالي الجزيرة العربية، بالإضافة إلى الموقع الجغرافي مما ساعدها على التمتع بالاستقلال وقلة احتكاكها وتأثيرها بجاراتها: اللغة الفارسية من جهة الشرق، اللغة الآرامية من الشمال، اللغة الحبشية من الجنوب، وهو ما ساعدها على الاحتفاظ بأكبر قدر من مقومات اللسان السامي الأول.¹ بالإضافة إلى ما استدل به العلماء من تقاليد ووحدة اللغة واتحاد العقلية، والمميزات الجنسية بين الشعوب السامية، التي تدل على أنهم شعب بدوي نشأ في الصحراء وشب متأثراً بتلك البيئة.² وبالتالي فإن اللغة العربية تعد إحدى أهم اللغات الحية وأكثرها أصالة، كما أنه لو نزل بغير اللغة العربية لكان فيه كثير من الشبهة ولما فهمه العرب قال الله تعالى: ﴿لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فصلت الآية 44.

بناء على هذا فإن التنزيل ينبغي أن يكون بلغة الرسول ليتمكن من التعامل معها بصورة طبيعية وهو ما تم توضيحه سابقاً في الفكرة التي طرحها محمود يعقوبي والتي تؤكد على وجوب تحدث الرسول بلسان قومه قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إبراهيم الآية 04 لقد نزل القرآن باللغة العربية نظراً لما تحمله اللغة العربية من خصائص ومميزات لا توجد في لغة أخرى، فاللغة العربية لغة منطقية، غزيرة المادة، اختلاف طرق الوضع والدلالة فيها، وتنوع المجاز والكناية وتعدد المترادفات وغيرها من السمات المميزة لهذه اللغة. وقد تم إثبات أن الساميين في سائر المواطن أصلهم من جزيرة العرب ومنه فإن اللغة العربية هي أصل جميع اللغات السامية يقول في ذلك عبد الرحمن أيوب: «وطالما كانت الجماعة مترابطة متحدة في موطنها ومستواها الاجتماعي، فإن لغتها تظل وذلك وحدة غير منقسمة، أما إذا طرأت على الجماعة انقسامات اجتماعية، أو رحلت طوائف منها ذات عدد كبير، فإن ذلك بطبيعة الحال يؤثر على وحدة اللغة فتتقسم إلى مجموعة من اللهجات تختص كل منها بطائفة من هذه الطوائف».³

¹ سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ط1، الكتب العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2002، ص18.

² نفسه، ص32.

³ نفسه، ص33،34.

وهذا ما يفسر حصول ذلك التفاهم بين الخليل عليه السلام وزوجة ولده العربية الأصيلة من دون ترجمة فلم تكن لهجات الأقوام النازحين من جزيرة العرب قد استقلت من اللغة العربية فإبراهيم كان يتكلم بلغة يفهمها جميع السكان في بقاع النهرين وكنعان، ولم تكن العربية قد انفصلت عن سائر اللغات السامية. مما يرجح أن لغة إبراهيم عليه السلام كانت العربية القديمة قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّئِنذَرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾¹ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن الآية 04، 01 فهذه الآية تؤكد تلك الصلة الوثيقة بين لغة آدم ولغة القرآن الكريم فأدم قد عاش في الجنة قبل نزوله الى الأرض والعربية هي لغة أهل الجنة اذن فهي اللغة الأصل وهي الفكرة التي عبر عنها محمد الطاهرين عاشور في قوله: «و أما اختلاف ألوان البشر فهو آية أيضا لأن البشر منحدر من أصل واحد وهو آدم، وله لون واحد لا محالة، ولعله البياض المشوب بحمرة، فلما تعدد نسله جاءت الألوان المختلفة في بشراتهم، وذلك الاختلاف معلول لعدة علل أهمها المواطن المختلفة بالحرارة والبرودة، ومنها التوالد من أبوين مختلفي اللون مثل المتولد من أم سوداء وأب أبيض، ومنها العلل والأمراض التي تؤثر تلوينا في الجلد، ومنها اختلاف الأغذية ولذلك فاختلاف اللون ليس دليلا على اختلاف النوع لأن النوع واحد فللبشر ألوان كثيرة أصلها البياض والسواد، وكان أصل اللون البياض لأنه غير محتاج الى علة. ومن البياض والسواد انشقت ألوان قبائل البشر»² فنزول القرآن الكريم باللغة العربية لا يعني عدم احتوائه على لغات غير اللغة العربية وهو ما يثبت أنها اللغة الأكثر حفاظا على اللغة الأم يرى ابن عباس وعكرمة "أنه وقع في القرآن ما ليس من لغة العرب، فالطور=تعني الجبل بالسريانية، وطفقا=أي قصدا بالرومية، والقسط والقسطاس=تعني العدل بالرومية، «إنا هدنا اليك» =تبنا بالعبرانية والسجل=الكتاب بالفارسية، والمهل=عكر الزيت بلسان أهل المغرب، السندس=الرقيق بالهندية، السرى=النهر باليونانية»³ وبما أن عمل العقل البشري يتجلى في الفكر الذي يصدر فيه فإنه لا يمكن أن يحصل إلا بواسطة اللغة اذن فاللغة هي نسق من الإشارات المستعملة للتواصل والتعبير الفكري.

يدعم دونالد هذه الفكرة بقوله: «عندما ندرس بنية اللغة في شعب ما فإننا ندرس صورته وطرائق تفكيره، وعندما ندرس مفرداتها فإننا نكتشف نماذج مميزاته، فإذا زعمنا بأن اللغة هي تبلور فكر الشعب فإن قولنا هذا بعيد عن أن يكون خلاف الحقيقة»⁴.

¹ سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ص 34.

² محمد الطاهرين عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج 21، الدار التونسية للنشر، 1984، ص 74.

³ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار التراث، القاهرة، 1984، ص 288.

⁴ نقلا عن: أحمد عبد الرحمن حماد: العلاقة بين اللغة والفكر، ص 22.

يعتبر الكلام كظاهرة مرافقة للفكر قد طورت الألفاظ الحسية الى أخرى مجردة لتعبر عن نموه وتطوره يقول ساير Edward sapir: «إننا نفكر دائما من خلال ألفاظ نستحضرها في أذهاننا»¹

يرى محمود يعقوبي أن المعاني لا يمكن لها أن تستقيم إن خرجت عن قوانين الفكر البشري كما أنه يمكن لنا تغيير قوانين التعبير لكنه من غير الممكن أن نغير قوانين التفكير، فتمايز المعاني يتحقق بتمايز الألفاظ الدالة عليها، كما أن المقولات الفكرية هي مقولات عامة وواحدة بخلاف المقولات اللغوية التي تختلف باختلاف اللغات وطرقها في التعبير عن المعاني، فمعاني اللغة هي التي تتحكم في معاني الفكر، مؤكداً أن اللغة العربية هي لغة توافقت مع ذلك البناء الفطري المنطقي في القرآن الكريم خاصة إذا نظرنا الى ذلك الكم الهائل الذي تحتويه هذه اللغة من مميزات وخصائص لا تتوفر في أي لغة أخرى من بينها:

الفصاحة يقول الفارابي عن الفصاحة كخاصية مميزة للغة العربية: «هذا اللسان كلام أهل الجنة وهو المنزه من بين الألسنة من كل نقيصة والمعلى من كل خسيصة والمهذب مما يستهجن أو يستشنع، فبنى مباني باين بها جميع اللغات من إعراب أوجده الله له وتأليف بين حركة وسكون حلاه به، فلم يجمع بين ساكنين، أو متحركين متضادين، ولم يلاق بين حرفين لا يتألفان، ولا يعذب النطق بهما أو يشنع ذلك منهما في جرس النغمة وحس السمع كالغين مع الحاء والقاف مع الكاف والحرف المطبق مع غير المطبق، مثل: تاء الافتعال والصاد في أخوات لهما، والواو الساكنة مع الكسرة قبلها، والياء الساكنة مع الضمة قبلها في خلال كثيرة من هذا الشكل لا تحصى»².

الترادف: وهي نتيجة لسابقتها ففي اللغة العربية هناك مترادفات تشترك في معنى عام، ثم تختص كل مفردة بزيادة معنى ليس في غيرها، وهنا تظهر بلاغتها فهي لغة دقيقة في تعبيراتها.

الأصوات ودلالاتها على المعاني: يقول ابن خلدون عن هذه الخاصية: «الملكات الحاصلة للعرب أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات على كثير من المعاني، مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول والجرور-أي: المضاف-ومثل الحروف التي تغضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى. ولا يوجد ذلك إلا في لغة العرب، وأما غيرها من اللغات، فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة، ولذلك نجد كلام العجم في مخاطبتهم أطول مما تقدره بكلام العرب»³.

¹ نقلا عن: أحمد عبد الرحمن حامد: العلاقة بين اللغة والفكر، ص 31، 33.

² محمد عبد الشافي القوسي: عبقرية اللغة العربية، د: ط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيكو، المغرب، 2016، ص 60.

³ نفسه، ص 61.

سعة المفردات: فلا توجد لغة تضاهي غنى وثراء اللغة العربية، وشرح يقول ابن فارس هذه الخاصية في قوله: «ومما لا يمكن نقله، البتة أوصاف السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الأسماء المترادفة، ومعروف أن العجم لا تعرف للأسد أسماء غير واحد، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم» ويقرر علي الوافي أن أهم ما يمتاز به اللغة العربية هو أنها أوسع أخواتها السامية لأنها لا تشتمل على جميع أصول التي تشتمل عليها اللغات الأخرى فقط بل تزيد عليها بأصول كثيرة من اللسان السامي الأول.¹ وبالتالي فإن الملاحظ على اللغة العربية أنها لغة كثيرة المترادفات متنوعة الأساليب كما أنها لغة فسيحة الآفاق، ليس لها في اللغات الحية الأخرى شبيها لها.

علم العروض: وهو العلم الذي تعرف به الأوزان الشعر العربي ويستعمل كثيرا في تنظيم القصائد فهو بمثابة الميزان وعن علم العروض يقول ابن فارس: «ثم للعرب العروض الذي هو ميزان الشعر، وبه يعرف صحبته من سقمه» كما يضيف قائلاً المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون في بحث له بعنوان "مقام الثقافة العربية بالنسبة الى المدنية العالمية": «وأما في علوم اللغة، فإن الفكر السامي لم يصل إلى علم العروض إلا عند العرب.² ونقصد به القواعد التي تدل على الميزان الدقيق، والذي من خلال يتم معرفة الأوزان الصحيحة للشعر العربي من الأوزان الفاسدة وتبرز أهمية علم العروض في إيجاد معيار دقيق لعملية النقد، وهو الأساس للتمييز ما بين الشعر والنثر الذي يتضمن بعض السمات والخصائص الموجودة في الشعر والقدرة على قراءة الشعر بطريقة صحيحة وخالية من الأخطاء التي قد يقع فيها الأشخاص غير الملمين بعلم العروض.

الإعراب: وهو من أشد خصائص الحركة الإعرابية التي من خلالها يفرق بين المعاني يقول ابن فارس: «من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منوعت ولا تعجب من استفهام، ولا فعل من مصدر، ولا نعت من تأكيد».³

القابلية للاشتقاق والنحت: ويعد من أبرز خصائص اللغة العربية أنها اشتقاقية وهو نوعان اشتقاق أكبر وأصغر.⁴ من اقوى عناصر اللغة العربية واخص خصائصها به يعرف فاعل من مفعول، واصل

¹ محمد عبد الشافي القوسي: عبقرية اللغة العربية، ص 60، 62.

² نفسه، ص 63.

³ نفسه، ص 64، 70.

⁴ عبد القادر محمد مايو: الوجيز في فقه اللغة العربية، مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله فرهود، ط1، دار القلم العربي، سورية، 1998، ص

126، 133.

من دخيل، وتعجب من استفهام، فظاهرة الإعراب من خصائص التمدن القديم الذي جاءت معظم لغاته معربة مثل البابلية واليونانية.

ما يمكن استخلاصه أن اللغة العربية لغة فذة، فريدة في نوعها أوقفت منذ بدء الخلق لأن تكون لغة البشر المطلقة التي فطروا عليها أصلاً وطبيعة، هي لغتهم في الدنيا، ولغتهم في الآخرة ان اللغة العربية منطق خاص بما تحتكم اليه هو النحو اذن فاللغة العربية لغة منطقية وتعبّر هذه إحدى أهم خصائص اللغة العربية إطلاقاً لأنها "تتميز بأنها أقرب لغات الدنيا الى قواعد المنطق بحيث إن عباراتها سليمة يسهل على الناطق صافي الفكر أن يعبر بها عما يريد من دون تصنع أو تكلف لقد ضربت اللغة العربية رقماً قياسياً في الكمال من حيث تقدمها للفكر بكل المخططات الممكنة فميزت مفاصل الفكر تميزاً واضحاً وقد توصل علم اللغات المقارن الى حقيقة ثابتة بالنسبة للغة العربية هي أنها معبرة ببيكولوجيتها للعلوم الباطنة والظاهرة"¹ إن اللغة العربية لغة الوحي التي نزل بها، وهذا الوحي عند محمود يعقوبي يشكل قضية أساسية فهو دستورهم، الذي ينظم جميع علاقتهم بالإضافة الى خاصيتها المنطقية فمن هيمنة القرآن اكتسبت العربية هيبة وهيمنة على سائر اللغات، كما أنها لغة ثابتة وراسخة، وهي ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ.

¹ أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، د:ط، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، ص10.

المبحث الثالث: آليات الخطاب القرآني

لقد جاء الخطاب القرآني بنزعة العقلية والمنطقية تبعاً للفكر الإنساني وطبيعته ليأتي وفق بنية جمعت بين الحكمة والبلاغة فأقامت الحجة والبرهان لإثبات قضاياها والرد على افتراء الخصوم فكان الجدل والحوار والحجاج والأسلوب القصصي من أبرز أساليبه كما كان للتنوع في الأسلوب اللغوي أثر بالغ في إقناع المخاطب والتأثير على فكره من أجل تغيير قناعاته فماهي أهم الآليات التي تضمنها الخطاب القرآني؟

أولاً: الحوار

لقد هدف الخطاب القرآني بمنطقه الفطري إلى توجيه الناس إلى تلك الطرق والأساليب التي تستخدم مقاييس العقل في محاكمة الفكرة واستقراء الواقع بجميع صورته ومظاهره، من أجل الوصول إلى المعرفة لتكون هذه الأساليب بمثابة الموقظ لذلك الإحساس الفطري بتلك الأفكار¹ فهذه الآليات مكنته من التعامل مع هذا المتلقي باختلاف مستواه وطبقته من أجل الكشف عن تلك المقاصد التي نزل الخطاب لتحقيقها ويعيد الحوار لغة الخطاب القرآني وقد قضى الله عز وجل أن تكون علاقته مع سائر مخلوقاته قائمة على أساس الحوار الإقناعي وليس على الإكراه، وقد ورد الحوار في القرآن في ثلاث مواضع:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ الكهف الآية 34.
قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ الكهف الآية 37 قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة الآية 01 لقد كان لتنوع الحوار في الخطاب القرآني عند محمود يعقوبي دليلاً على قوته وتميزه، كما أن الإنسان لم يكن المصدر دائماً بل اشتركت فيه عناصر أخرى كحوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة وتقبله منهم منطلق الحوار قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة الآية 30 إن الحوار غرض أساسي من أغراض الخطاب القرآني وأسلوب محدد من أساليبه فينتج إلى إبراز الحجة والمنطق العقلي، لقد وجه الله سبحانه وتعالى أنبيائه في حوارهم مع المشركين ومع أقوامهم إلى افتراض أو طرح قضية ثم تحاورهم فيها قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ انْتُوِينِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الأحقاف الآية 04.

¹ محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، ط5، دار الملاك، لبنان، 1996، ص95.

ويقول أيضا: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ﴾ الأنعام الآية 148 فيقوم بطرح قضية من خلال بديهياتها العامة والاستدلال عليها وصولا إلى إثباتها أو نفيها،¹ لقد كان للحوار عند محمود يعقوبي دورا تظهر أهميته في التأسيس لصيغة معرفية متجددة تعتمد على تزواج الأفكار، وتبادل الرؤى، والأطروحات والكشف عن مواطن الاتفاق ومسارات الاختلاف وهي حقيقة مؤكدة من قبل الخطاب القرآني قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَآخُكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ جَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المائدة الآية 48. ليدعونا إلى التعامل مع هذه الحقيقة من خلال الخطاب الحوارية واعتبره القاعدة الأساسية في دعوة الناس الى عبادة الله والإيمان به.

ثانيا: الجدل

إن حوار في القرآن الكريم يهدف الى إبراز ذلك الهدف الذي تدور حوله المحاوره ويعد هذا الأسلوب من الأساليب الأكثر شيوعا في الخطاب القرآني ويرتبط الحوار بعدة ألفاظ هي:

الجدل وهو نوعان محمود كقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل الآية 125 وجدال مذموم كقوله تعالى: ﴿وَجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ الكهف الآية 56 والمراد بالجدل عند أهل العلم هو آداب الاستدلال والمعارضة يقول ابن خلدون: «إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان ذلك الرأي، من الفقه أو غيره»² فالجدل هو طريقة في المناقشة والاستدلال الغرض منها إلزام الخصم وإفحامه بالحجة والبرهان.

أما المناظرة فهي إحدى العلوم العربية التي تختص بدراسة الفعالية الحوارية من خلال معرفة قواعدها المنطقية وشروطها الأخلاقية وهي مشتقة من النظر وهو نوعان: "طلبي واستدلالي وتأتي المناظرة بمعنى المجادلة الحمودة وهي استخراج الصواب، فالجدل هو احتجاج باللسان أما النظر فيكون بالفكر وبالقلب والعقل يقول الجرجاني في تعريفه للمحاججة "الحجة هي ما دل على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد".³

¹ محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، ص 100.

² حمد بن إبراهيم العثمان: أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ط2، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2004، ص 12، 13.

³ نفسه، ص 14، 16.

وبالتالي فالحجة إذن هي تلك الدلالة المبينة لمقصد المستقيم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين، والحاجة أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومجته قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ الأنعام الآية 80 وبناء على ما سبق فقد جعل يعقوبي الحوار بمثابة ركيزة أساسية من ركائز الخطاب القرآني الذي هدف الى دعوة الناس إلى دين الله وكانت آيات المحاججة والحوار الجدلي والتفكير إيضاحاً للحقائق ودحضاً للأوهام بخطاب حوارى إقناعي خاطب العقول والأفئدة فحرك الفطرة الإنسانية وحرر البشر من كل تقليد وخرافة فحارب الوثنية لأنها تدعوا إلى انحطاط العقل فكان منطق الفطرة والعقل السند الذي ارتكزت عليه.

إن الطبيعة المنطقية في نظره للحوار قد فرضت نفسها فيرى أنه حوار قائم على التنوع لأمس جميع جوانب الحياة الإنسانية باعتماده على الحجة والمنطق العقلي، فمن أهم الغايات التي أسس لها الخطاب القرآني حسبه أنه خطاب إقناعي قائم على " قوة حجته المنطقية التي يفسرها الكشف عن صورتها وهي أقوى وسائل الإقناع وعرضها يكون جزئياً فتفقد شيئاً من مظهرها ولرد الحجة إلى صورتها التامة ينبغي أن يظهر ما أضمر منها، وأن يستبعد ما أقحم فيها لافتراض العلم به وأن يحذف منها ما أضيف إليها لافتراض الحاجة إليه، والحذف والإضافة يراد بهما إما الوصول إلى الإقناع وإما تسهيل الإذعان للحجة وهو المجال الذي يلتقي فيه المنطق بالخطابة، وبما أن البلاغة في الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال فإنه في حال إذا كانت إحدى المقدمات معلومة فلا داعي لذكرها أو إثباتها لأن فيها انتقاص في حق المخاطب.¹ إن قوة حجة هذا خطاب في نظر يعقوبي مستمدة من أحد أهم مبادئه الفطرية وهو مبدأ عدم التناقض، فالبراهين القرآنية تتميز بالسهولة والوضوح، وقد أكد على هذه الحقيقة القاضي عبد الجبار فيقول: "واتفق فيه (القرآن) أيضاً استنباط الأدلة التي توافق العقول، وموافقة ما تضمنه لأحكام العقل على وجه يبهر ذوي العقول ويحيرهم، فإن الله سبحانه ينبه على المعاني التي يستخرجها المتكلمون بمعاناة وجهد بألفاظ سهلة قليلة تحتوي على معان كثيرة، كما ذكره عز وجل في نقض مذاهب الطبيعيين. وفي قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ وفي الآيات التي ذكرها في نفي الثاني، وفي غير ذلك من الأبواب التي لا تكاد تحصى"².

¹ محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 26.

² السيد رزق الحجر: مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم، العدد 223، جامعة القاهرة، 2007، ص 111.

إن الحجة المنطقية هي حجة بديهية يفهمها المخاطب على الفور لشدة وضوحها، فتحصل صورتها في ذهنه دون جهد فالحجة القرآنية وردت بناء على تلك العلاقة الموجودة بين الدال والمدلول ففطريتها جعلت عناصرها واضحة الدلالة ومعانيها لا تلتبس حقيقتها بمجازها فهما أمرين بديهيين يدركهما كل من سمع لفظيهما فلا يتبادر الى ذهنه غيرهما، وبالتالي فإن أي انسان حسب يعقوبي يدركها بفطرته فلا يحتاج في ذلك إعمال النظر وهما أمران لا يعرفهما عامة الناس بحكم اشتراكهم في امتلاك القوى العقلية الفطرية وبالتالي فإن بساطة الحجة تقتضي إتباعها لأقصر لتثبت مطلوبها مباشرة وهو الطريق الذي يسلكه العقل الفطري.

ومما سبق يتضح أن الحجة الفطرية عنده لا تخرج عن نطاق مبادئ العقل وهي المشترك العام بين الناس بالإضافة الى كونها حجة كلية قانونية واجبة، وهي كلية طبيعية فرضتها الحياة الاجتماعية وهي ضرورة يقبلها العقل الخالص متجاوزة الفروق الفردية والأبعاد الزمانية والمكانية مشكلة الأساس الدفين في العقل البشري والذي يعمل به جميع الناس عند تجاوز الاختلافات وفي تبادل الآراء صورة حجة استعملها ودعا اليها الخطاب القرآني يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ يونس الآية 108 وبالتالي فإن البراهين القرآنية توافق الفطرة، وتناسب جميع العقول وبما أن طبائع الناس متفاوتة وقدراتهم على التفكير والنظر مختلفة فكان من البديهي أن يقتنع بعضهم بالقياس والبرهان ومنهم من يقتنع بالجدل وعلى أساس هذا التباين "كان الخطاب القرآني متضمنا لبراهين عقلية وأساليب الإقناع العقلي بما يصلح لجميع العقول ويناسب جميع الطبائع فلا يعلو على مدارك الجميع، فيجد فيه المثقف بغيته، والفيلسوف طلبه، والعامية من سواد الشعب غاياتهم".¹

إن الخطاب القرآني خطاب إقناعي استعمل الحجة العقلية والمنطقية حتى تستقر الفكرة في النفس فيقبلها العقل والحس والتأثير الوجداني فعلى سبيل المثال يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ هود الآية 18، 24، فالناظر في هذه القضية الجدلية التي عرضها الخطاب القرآني يرى أنها قضية لا تحتاج إلا للتذكير فهي تحوي نتيجة بديهية منطقية مقرر لا تحتاج الى تأمل وتفكير.

¹ السيد رزق الحجر: مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، ص 118، 119.

ثالثا: القصة

لم يقتصر الخطاب القرآني على الحوار والجدال فقط فقد استعمل أيضا الأسلوب الوصفي التصوري أيضا ليعرض قصصا ومشاهد حوارية واقعية قصد تبسيط الفكرة وتقريبها لذهن المستمع" ومن أهداف الخطاب القرآني أن يقدم للإنسان قضايا الحياة على صورة نماذج، يشعر معها بالوضوح الذي يجسد الفكرة، ويجعلها مثلا حيا أمامه، فكانت القصة من أكثر الأساليب قدرة على تحقيق هذا الهدف، بما تتيحه للفكرة، ويمكن التحدث عن طريقتين للقصة في القرآن فتتمثل في عرض الأحداث بشكل تقريبي، تنتقل فيه الحكاية من مرحلة إلى مرحلة، حتى تبلغ نهايتها، طريقة الحوار فيحاول أن يمثل فيه كل طرف من أطراف القصة دوره بأسلوب واضح.¹ فتهدف القصة القرآنية إلى الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالبعث وتثبيت أسس العقيدة الإسلامية في النفوس من خلال ذكر قصص الأنبياء وبيان وحدة دعوتهم، بالإضافة إلى ما تحمله من حوار هادف مقنع.

يعد الأسلوب القصصي من أكثر الأساليب تأثيرا في النفس الإنسانية وأنجحها يقول تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ يوسف الآية 03 ويقول أيضا:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف الآية 111 فكان الحق والموعظة والذكرى هي السمات البارزة والمكونة للقصص القرآني كما أنها أسهل الطرق لإيصال الفكرة إلى كافة الناس يرى محمود يعقوبي أن الخطاب القرآني خطاب ليس كأبي خطاب فهو مطلق استوعب الإنسان واقعه مستخدما بذلك آليات سعت إلى التأثير في القلوب وإقناع العقول من خلال بديهية وفطرية حججها واحتوائه على الحوار البرهاني وجدلي الذي يتسم بالسهولة وكذا تلك البنية المنطقية التي قاعدة لإزالة الشكوك والشبهات، فكانت ملزمة للجاحد. من خلال ما سبق معالجته يتضح لنا أن معرفة الله فطرية، فيرى يعقوبي أن كل إنسان يولد على صفة تقتضي إقراره بأن له خالقا مدبرا تستوجب معرفته وهذه الصفة ذاتها هي القوة المغروزة في الإنسان، التي تقتضي اعتقاده للحق دون الباطل، فعلم بالبراهين اليقينية القاطعة، أن وجود الخالق هو أعظم الحقائق كما أن المعارف الفطرية في نظره لا تحتاج إلى نظر واستدلال، وإنما تكون معلومة بالبدهة والفطرة فحديث القرآن الكريم عن هذه المعرفة الفطرية كاف وشامل لحقيقتها وبيان المراد منها.

¹ محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، ص 230، 231.

لقد حمل الخطاب القرآني روح البناء المنطقي الذي يتلاءم مع طبيعة العقل البشري الفطري؛ ليستطيع الإنسان إدراكه وفهم معانيه ومقاصده والإفادة منه، فالارتباط الوثيق بين المنطق والقرآن الكريم قد اتضح أكثر من خلال النزعة المنطقية للغة العربية التي تظهر باعتبارها أم اللغات، والقرآن الكريم قد كتب لها الخلود متمتعة بخصائص لا تضاهيها فيها لغة أخرى، كما أنها لغة قادرة على احتواء الفكر الإنساني، وأداة تعبير وتواصل بين العرب وغيرهم الذين أكدوا على عظمتها، وأصالتها المتجذرة في التاريخ. ليؤكد يعقوبي على أن الخطاب القرآني قد استعمل آليات تركز على الحجة الفطرية بوصفها قضايا وموضوعات معروضة بطريقة بلاغية تخاطب العقل والوجدان لتصل إلى الاقتناع القائم على الحجة والبرهان فاهتم القرآن الكريم بالحوار اهتماما كبيرا، وذلك لأن الطبيعة الإنسانية تميل بطبعها وفطرتها إلى الحوار، والجدال وقد تنوعت البراهين في الخطاب القرآني لتنوع العقول ومدى إدراكها وفهمها وتصديقها.

الفصل الثالث

مبادئ المنطق في القرآن الكريم

المبحث الأول: الجدل في القرآن الكريم

المبحث الثاني: بلاغة الحجّة القرآنية وصورها

المبحث الثالث: الأبعاد النفسية والاجتماعية للخطاب القرآني

المبحث الأول: الجدل في القرآن الكريم.

لقد جاء الخطاب القرآني كخطاب منسجم وموافق لطبيعة الإنسان وفطرته على مستوى التفكير أو السلوك أو الوجدان هاديا وموجها غير غافل عن الطبائع النفس الإنسانية بل مراعيًا ومقوما لها ويعد الجدل أحد الطبائع الإنسانية التي فطر عليها فهل بداية الجدل مقتصرة على الفكر اليوناني أم أنها بدأت مع بدء الخليقة الإنسانية؟

أولاً: الجدل القرآني

لقد اعتبر القرآن الكريم الإنسان أكثر شيء جدلاً فهو الذي يمارس الجدل كطبع في حياته، في كل الأمور التي يعيشها. فقد خلق الله الإنسان كمخلوق متحرك في فكره، ففكر الإنسان ينطلق ليواجه كل ما يعرض عليه من قضايا، وما يعيشه من أوضاع، وما يبصره أو يسمعه، مما يتحرك في الكون، ما يجعل الإنسان ينطلق في فكرة معينة هنا وأخرى هناك، ليقابله إنسان آخر بفكرة قد تكون مضادة لفكرته. ومنه يتحرك الجدل، في خط مستقيم ليصيب الواقع، أو في الفكر الذي ينطلق في خط الانحراف ليتعد عن الواقع. "كما أن الجدل شأن اجتماعي لا يمكن أن تخلو منه أمة، نظراً للاختلاف الموجود بين الناس في معتقداتهم وآرائهم قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ هود الآية 118، 119¹ وبالتالي فإنه بالفطرة يميل إلى المناقشة والجدل فجاء التشريع الإلهي آمراً إياه بالجدل بمفهومه الصحيح والحسن ليكون الجدل أحد وسائل التفكير والعمل وقد تنوع مجالات الجدل في القرآن الكريم بتنوع صور الفساد الذي كان شاملاً لمختلف العقائد والأديان السابقة لظهور الخطاب القرآني. فيمثل الجدل القرآني تلك البراهين والأدلة المستعملة والآخذة بيد الخصم بغية إقناعه وقبوله الحق سالكا طريق البرهاني العقلي والمنطقي.

أ): مشروعية الجدل في الخطاب القرآني.

إن الإنسان يتميز عن غيره من الكائنات بجدل خاص وهو الجدل الفكري وقد كان الجدل مشروعاً في القرآن الكريم ومن أدلة المؤيدة لمشروعية الجدل في القرآن الكريم هي:

¹ عثمان علي حسين: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، ج1، ط1، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، السعودية، 1999، ص52.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان الآية 33 فالكفار وأهل الباطل يأتون بالأقيسة العقلية والحجج فضرب الله المثل بما هو أحسن وأوضح من حججهم وقال: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الصفات الآية 175،156 فكل إنسان مفكر يمارس الجدل في علاقته مع نفسه ومحيطه، وبالتالي فإنه مرتبط بالحكمة والموعظة والإرشاد والتصويب، لأن هدفه السمو بالتخاطب إلى أعلى مراتب التواصل، ومن الأدلة أيضا على مشروعية الجدل "ثناء الله على من أخذ بمجامع الحجة مثال ذلك ثناء الله على سيدنا إبراهيم في أخذه بمجامع الحجة بل وأضاف الله الحجة التي آتاها إبراهيم عليه السلام لنفسه تعظيما لشأنها وحثا على تحصيلها قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الأنعام: 83 فالمتأمل في القرآن يراه مملوء بجدال أهل الباطل وحججهم بأحسن الطرق وأوضح البراهين وأقوم الحجج، تقرير قواعد فن المناظرة في القرآن ويعد من أقوى الحجج على مشروعية المناظرة فقواعده مؤصلة في الخطاب القرآني يقول ابن القيم: «إن القرآن مملوء بالاحتجاج وفيه جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة».¹ فقد دعى الله في كتابه إلى الجدل غير أنه ينبغي للمجادل أن يتسلح بالعلم فتقوم حجته وبراهينه على أسس متينة تستمد صحتها من صحة مقدماتها ونتائجها فالقرآن لا ينكر الجدل ولا يضيق به بل وقد أطال القرآن الكريم الجدل في كثير من المواقف وبسط الحجة فيه، ودليل آخر في مدحه للخصام لإظهار الحق قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ النمل الآية 45 الدعوة إلى الله توجب المناظرة وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ التوبة الآية 06 الجدل بالحق غيظ للكافرين قال تعالى: ﴿وَلَا يَطُؤُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ التوبة الآية 120² لقد سلك الخطاب القرآني في نظر محمود يعقوبي طريقا صارما من خلال طرحه لأدلته بطرق الاقتناع، والتوجيه، والارشاد كما جاء بطرق الالزام والإفحام، فجميع الأدلة القرآنية إلزامية، لسلامتها من التناقض والاختلاف، ومن طرق الاستدلال القرآني في الرد على الخصوم ما يلي:

¹ أحمد بن براهيم العثمان: أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص 29، 37.

² نفسه، ص 40، 47.

ثانيا: طرق الاستدلال القرآني.

لقد تنوعت طرق الاستدلال التي استعملها الخطاب القرآني غير أنها لا تخرج عن إطار الفطرة والبداهة فيؤكد محمود يعقوبي أنها طرق تعتمد على الحجة المستقيمة الموصلة لليقين ومن بين هذه الطرق:

1/ قياس الإضمار

وهو قياس حذف منه إحدى المقدمات باعتبار أنه قياس ذهني تام بينما ناقصه يكون في اللفظ فقط. يقول تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ آل عمران الآية 59، 60 وهذه الآية تحمل دليلا مبطلا ذلك التفريق بينوة عيسى على حساب آدم فكان الرد بإثبات ومماثلة عيسى لآدم في الخلق. إن آدم خلق من غير أب كعيسى، فلو كان عيسى ابنا بسبب ذلك لكان آدم أولى، لكن آدم ليس ابنا باعترافكم، فعيسى ليس ابنا أيضا.¹ ان عيسى خلق من غير أب كمثل آدم الذي خلق من غير أب ولا أم بقدرة الله فلما كان الله قادرا على أن يخلق آدم من غير أب ولا أم لكان أسهل عليه خلق عيسى بدون أب فقط. وهو موجود أيضا في الآية الكريمة: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يس الآية 79 والتي تجيب عن التساؤل الذي تضمنته الآية التي قبلها ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ يس الآية 78 وفيها ردا وإقناعا لمنكر البعث بعد الموت الذي كان يقر بصدق المقدمة الصغرى لأنه يعلم أن لا شيء يخلق نفسه وأنه لم يهب الحياة لنفسه لترد الآية على الصورة المنطقية التالية:

كل من خلق أول مرة، قادر على أن يعيد الخلق / والله خلق أول مرة / إذن الله قادر على أن يعيد الخلق"

2/ قياس التمثيل:

قياس التمثيل فهو انتقال الذهن من حكم معين إلى حكم معين، وقد شغل أسلوب ضرب الأمثال مساحة كبيرة من الاستدلال القرآني على قضايا الاعتقاد ويرى ابن القيم أن القرآن الكريم قد اشتمل على بضعة وأربعين مثلا، تتضمن تشبيه الشيء بنظيره، والتسوية بينهما في الحكم فالتشبيه شعبة من قياس التمثيل ومن شواهدة.

¹ محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ط1، دار الفكر العربي، 1934، ص 64، 65.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يونس الآية 13 ويقول الطبري أن الله أراد ضرب مثل لمكذبي الرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جزائهم سيكون كغيرهم من المكذبين بالله وبما جاء به رسله إن لم يتوبوا إلى الله¹. إن قياس التمثيل يعد أقرب صور الاستدلال إلى الفطرة ونحكم على الشيء من جزئه بناء على وجود ذلك الجامع المشترك بينهما. "وقد وردت في القرآن الكريم العديد من أدلة البعث تقوم على قياس التمثيل ومنه قياس الغائب على الشاهد بالمماثلة بينهما. قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَؤُرِّدُ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الحج الآية 07²

3/قياس الخلف: وهو إثبات الأمر بإبطال نقيضه، لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان. وقياس الخلف في القرآن: إبطال الباطل الذي هو نقيض الحق لإثبات الحق كاستدلال على التوحيد بإبطال الشرك، يقول تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ المؤمنون الآية 91 فنظام الكون المحكم والمتقن يدل على ان خلقه واحد لا شريك له، وهو ما يسمى بدليل التمانع في الخلق، أي إذا امتنع بالحس اختلال نظام الكون، وثبت بالحس دقة صنعه، امتنع أن يكون له أكثر من خالق وهو مماثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ الأنبياء الآية 22³ فيسمى قياس بالخلف أي الانطلاق من مقدمة الخصم الكاذبة ليصل إلى النتيجة التي تظهرها دعوته أي الوصول إلى مقدمات صحيحة. وقد اتجه القرآن الكريم إلى ذلك في استدلاله لإثبات وحدانية الله تعالى في قوله سبحانه عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.

¹ أحمد بن عبد السلام الريسوني: التجديد الأصولي نحو صياغة تجديدية لعلم أصول الفقه، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الو.م.أ،

2014، ص 357، 358.

² عثمان علي حسن: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، ص404.

³ نفسه، ص 401، 402.

وقوله أيضا: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾.

ثالثا: مجالات الحججة القرآنية.

إن الجدل ظاهرة إنسانية، بل عالمية، لأن وجودها لا يقتصر على الجنس البشري فقط فيرى محمود يعقوبي كغيره من أن الملائكة والجن أيضا أخذت حقها في الجدل لكن ليس بالقدر الذي حظي به الإنسان فالنفس البشرية جبلت على حب الدفاع عن نفسها وهذا الدفاع مقترن بالجدل كسلاح قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ النحل الآية 111 فالجدال بمعناه العام يعود إلى نزعة البيان والإفصاح المودعة فطريا في الإنسان لإظهار مبدأ أو نصرة حق يقول ابن خلدون: «وأما العلوم العقلية التي هي طبيعة للإنسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوتون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة»¹ وقد مثل السؤال عن الحكمة من خلق الإنسان وهو جدال ورد على لسان الملائكة وقد توجه به الخطاب القرآني إلى الإنسان ليعرف الحكمة من خلقه وهو ما خفي عن الملائكة والغرض من هذا الجدل رفع من شأن الإنسان.

1/ جدال الملائكة: "أول من سن الجدل هم الملائكة قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة الآية 30 وهو استدلال بالترجيح والأولوية منهم، فهم المسبحون والمقدسون وبالتالي هم أحق وأولى بالإيجاد ممن يفسد فيها ويسفك الدماء، وكان جواب الله تعالى لهم بالترجيح لعلمه بالذي ظنوه فيهم ووصفهم به "2 فيخبر الله سبحانه وتعالى الملائكة بمشيئته في خلق الإنسان والحكمة من خلق هذا الكائن فيعرفهم بحكمته لأنهم سيسألون عن سبب الخلق، ليجيئهم الله جل جلاله فيذكرهم بلمه الواسع وحكمته التي تخفى عليهم.

¹ نقلا عن: عثمان علي حسين: منهج الجدل والمناظرة، ص 52، 54.

² ابن حنبل: استخراج الجدل من القرآن الكريم، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد صبحي حسن حلاق، ط1، مؤسسة الريان، لبنان، 1996، ص31.

2/ جدال إبليس: " ويعد إبليس أول من أظهر الخلاف، وركب العناد، أما الفرق بينه وبين الملائكة أنه أفتى ودل في مسأله فانقطع في مجادلته وخسر وبان فساد تعليله، وازاغته عن الصواب في تأويله. بخلاف الملائكة لم يظهروا الخلاف ولا العصيان بل طلبوا بسؤالهم الإيضاح والبيان.¹ قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُعَوِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ص الآية 85،71 إن هذه الفكرة نلمس أثرها فيما ذهب اليه محمود يعقوبي في تحليله لإبليس أبي وستعال عن السجود وقد سأله الله عز وجل عن المانع من السجود مع علمه به ليظهر إبليس عناده وكفره وافتخاره بأصله وإعجابا بنفسه لأنه خلق من نار واحتقاره لأصل آدم الذي خلق من طين.

3/ جدال الأنبياء وأقوامهم: يرى محمود يعقوبي أن هذا الجدال "قد جاء لإظهار عناية الله بعباده الذين نسو نعمه عليهم فتركوا عبادته والعمل بشريعته وبالتالي أنكروا ألوهيته وعليه أرسل الله رسله ليعيدوهم الى عقيدة الله وشريعته وهذه الدعوة لا تتم إلا بالتنبيه والإقناع مستعينين بتلك القدرات العقلية الفطرية التي يشترك فيها العامة والخاصة فيلفتون أنظارهم إلى قيمة الشروط التي تتوقف عليها حياتهم والتي يعملون بها بمقتضى مبدأ العلية الفطري الموجود فيهم."² ومثال ذلك جدال نوح مع قومه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِإِدْبَارِ الْأُمِّيِّ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ هود الآية 25،27 فقد أرسل الله نوحا إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة ربه فكان ردهم بإنكارهم واعتراضهم عليه.

¹ ابن حنيلي: استخراج الجدال من القرآن الكريم، ص33.

² محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص50.

يرد عليهم نوح "بالحجة العظمى وهي الحجة التي أضافها الله عز وجل إلى نفسه في قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾¹ فقال نوح: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْرُمُونَ﴾ هود الآية 27، 35.

4/ جدال إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم : إن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها، وبعدها وقد كغيره من الأنبياء والرسل اعتراضا لترد عدة أدلة على نبوة الرسول (ص) وتوجد أدلة وبراهين قاطعة تقوم على أربعة أصول هي: «أما الأول فإخبار الأنبياء قبله، ووصفهم له في كتبهم. أما الثاني النظر في قرائن أحواله. أما الثالث فهو الكتاب العزيز أما الرابع ما ظهر على يديه من خوارق العادات. وجاء في إخبار الأنبياء السابقين عنه بقدمه ما يلي: «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران، ومعه جماعة من الصالحين» فمجيئه من جبل سيناء يعني أن الله أنزل فيه التوراة وكلم عيسى. وإشراقه من جبل ساعير شرق دين المسيح. واستعلانه من جبال فاران أن الله قد بعث محمدا منها وأوحى إليه فيها فلا اختلاف أن فاران تني مكة وقد قال في التوراة: «إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران»² وقد جاء في التوراة أن موسى كليم الله بشر بمحمد عليه الصلاة والسلام بقوله: "إن نبيا مثلي سيقوم الرب إلهكم من إخوانكم أبناء إبراهيم وثبت هذه العبارة أنه محمد صلى الله عليه وسلم فلم يأتي نبي بعد موسى بشريعة كاملة تبين كل الأحكام غير القرآن الكريم... لا يبشر بالنبي فقط بل ويبين مكان الرسالة، ومباعتها التي تعم مشارق الأرض ومغاربها".³

¹ ابن حنبل: استخراج الجدال من القرآن الكريم، ص 53.

² ابن المزين: إثبات نبوة محمد، تحقيق ودراسة: أحمد آيت بلعيد، د:ط، دار الكتب العلمية، لبنان، د:ت، ص 31، 34.

³ محمد أبو زهرة: خاتم النبيين، مج 1، دار الفكر العربي، القاهرة، د:ت، ص 66.

كما جاء في الزبور ترجمة وهب ابن منه، يقول الله لداود عليه السلام في المزمور الخامس: اسمع ما أقول ومر سليمان، فل يقله للناس من بعدك: إن الأرض لي أورثها محمدا وأمته. فهم خلافكم ولم تكن صلاتهم بالطناير، ولا قدسوي بالأوتار¹.

لقد أكد محمود يعقوبي من خلا لتوضيحه لمجالات الحجة القرآنية خاصة تلك التي تتعلق بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم قد خلق على حقيقة بشرية، وكونه بشرا لا ينفي عنه النبوة، وهو ما يدعاه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ الكهف الآية 110. ويقول: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إبراهيم الآية 10، 11، وقد رد الله على هذين الاعتراضين بحجتين مؤكدا على أن الرسل بشر لكن لا مانع من إرسالهم لبشر مثلهم، أن السلطان يكون بإذن الله كرسالة تامة، " أما النوع الثاني فهو استدلال الى نبوته بقرائن أحواله حين حملت أمه به قيل لها: "إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمدا". ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به بصرى من أرض الشام. وقالت أم عثمان الثقفية: "حضرت ولادة رسول الله، فرأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورا، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علي وولد مختونا"² أما النوع الثالث فهو الاستدلال على نبوته بالكتاب العزيز قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت الآية 42 وقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الحكيم، فعرضه عليهم وأسمعهم إياه، واستدل على صدقه بذلك وقال لهم: "إن كنتم في شك من صدقي، فأتوا بقرآن مثله" وقد عجز قومه عن الإتيان بمثله فقال لهم: ﴿لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ الإسراء الآية 388. ليظهر عجزهم بالرغم من أنهم الفصحاء والبلغاء. وقد تبينت حجته، ووضحت محجته بعجزهم وغيرها من الأدلة التي ساهمت في توضيح هذا المجال.

5/ إثبات الألوهية ونفيها: أما عن هذا المجال فيرى محمود يعقوبي أنه قد تضافرت العديد من النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا

¹ ابن المزين: إثبات نبوة محمد، ص 37.

² نفسه، ص 52.

³ نفسه، ص 111، 112.

رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿البقرة الآية 21﴾، وقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ النساء الآية 36. كما بين أنه الأساس لوجود الخليفة كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات الآية 56 وفي موضع آخر يوضح أن عبادته وتوحيده هو القصد من إنزال الكتب الإلهية، يقول تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ النحل الآية 02 وقد وردت العديد من الأدلة في القرآن الكريم التي تنفي الألوهية عن الله في العقائد الفاسدة وأخرى تثبتتها ولعل ما عاناها إبراهيم عليه السلام في بيان فساد عقيدة قومه الذين انتشر السحر بينهم والتنجيم وعبادة الكواكب لأن حياتهم كانت مرتبة على معارفهم الفلكية ومبنية على اعتقادهم في تأثير الأجرام السماوية عليهم دليل دامغ يقول تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ مريم الآية 41، 46 فإبراهيم عليه السلام كان بصدده مخاطبة والده بنهيته عن عبادة ما لا ينفعه مقدما الأدلة العقلية التي تبرهن على بطلان وزيف ما يعبدونه ليقدم له بديلا وهو التوجه إلى فاطر السماوات والأرض، وهي ركيزة أوجدها الله للتأكيد على فكرة ألوهيته مرشدا إياه الى طريق بإتباعه له ناهيا إياه عن طاعة الشيطان لأن طاعته تعني عبادته "ليبين إبراهيم عليه السلام أنه لا منفعة في طاعتها ولا مضرة في الإعراض عنها، فوجب أن لا تحسن عبادتها وهي حجة قائمة على التمييز البديهي بين القادر والعاجز والمستحق للعبادة وغير مستحقها."¹ في هذه الآيات يوضح محمود يعقوبي كيف استعمل إبراهيم تلك الحجة المقنعة فمن يغيب لا يستحق الألوهية "وهو تساؤل لا يخرج عن فطرة الإنسان التي تقر بمبدأ العلية ليوسع مجال السببية ويشمل حركة الكواكب المؤهلة ليتبين أنها ليست الفاعلة لحركتها ولا لحركة غيرها بل هي منفعة بفعل فاعل حكيم"² لأن من نعبده ينبغي أن يبقى ساهرا قائما مدبرا لشؤون عباده.

وبالتالي فإن يعقوبي بين تلك الجوانب التي استعمل فيها الخطاب القرآني الجدال القائم على الحجة الفطرية ويعد جدال إبراهيم مع النمرود وكذا جدال موسى مع فرعون دليلين على إنكار ألوهية الإنسان.

¹ ابن المزين: إثبات نبوة محمد، ص53.

² نفسه، ص52.

يقول الله تعالى في ذلك: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة الآية 258 ليتضح من هذا جدال صدور معارضة فاسدة عن النمرود، لأن حقيقة الإحياء والإماتة التي فسرها النمرود غير التي يقصدها إبراهيم ليبرهن بعدها على ربوبية الله على حد تعبير محمود يعقوبي بذكر حجة لا تخرج عن الفطرة الإنسانية التي تقر بمبدأ السببية ليتوسع هذا المجال فيشمل حركة الكواكب والنظام الذي تسري عليه فيقر أنها ليست فاعلة لحركتها بل هي منفعلة بفعل فاعل والأكد أنه ليس النمرود فلا سلطان له على الشمس في طلوعها وغروبها.

6/مجادلة الملحددين ومنكري البعث:

وتعد مجادلة الملحددين أهم مجالات الحجة الفطرية التي سعى محمود يعقوبي لإيضاحها في حديثه عن منكري وجود الله، والملاحدة لا يؤمنوا بوجود خالق واحد خلق السموات والأرض وقد ذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ الجاثية: 24 فيزعمون انهم على الأرض وجودوا عبثاً "وأن تولد الأشخاص كان بسبب حركات الأفلاك الموجبة لاقترانات الطبائع. وإذا وقعت تلك الاقترانات على وجه خاص حصلت الحياة وإذا وقعت على وجه آخر، حصل الموت. وبالتالي فإن الموجب للحياة والموت هو تأثيرات الطبائع وحركة الأفلاك فجمعت هذه الطائفة بين إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة. وقد استعمل القرآن الكريم حجتين فطريتين ضدهم وقد ورد ذكرهما في آيات كثيرة تجتمع كلها في دليلين هما دليل العناية والاختراع.¹ قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ النبا الآية 6، 16 فيرى ابن رشد أن استقراء الكتاب العزيز يظهر تلك الطريقة الشرعية التي أوردها الله في كتابه العزيز، تؤكد هذه الفكرة على الإقرار بوجود الباري فتتخلص هذه الطريقة في جنسين هما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات وتبني هذه الطريقة على أصلين أحدهما أن جميع الموجودات موافقة لوجود الإنسان أما الأصل الثاني أن هذه الموافقة

¹ محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 56.

ضرورية من قبل فاعل القصد لذلك مريد فلا يمكن أن تكون هذه الموافقة بالإتقان مصادفة".¹ نفس الفكرة نجد أثرها عند محمود يعقوبي فالأصل في دليل العناية هذا الوارد في هذه الآيات هو كل ما يشاهده الناس من توافق الكائنات الحية بعضها لبعض، والموجودات الحية لتلك غير الحية بحيث يستحيل في العقل البشري ان تكون قد حصلت بالمصادفة.

"أما الطريقة الثانية ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل وهذه الطريقة تبني على أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس، أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ الحج الآية 73، فإن رؤيتنا للأجسام الجمادية وما يحدث فيها من حياة يجعلنا نعلم قطعاً أن هناك موجدا للحياة ومنعماً بها. وأما السماوات فنعلم من قبل حركاتها، التي لا تفتقر أنها مأمورة بالعناية، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة".²

"وأما الأصل الثاني فهو أن كل مخترع فله مخترع. فيصح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلاً مخترعاً له، وفي هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات. ولذلك كان واجبا على من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقي قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأعراف الآية 185".³ فالأصل في دليل الاختراع هو كل ما يشاهده الناس من حدوث العناصر الطبيعية الخالية من الحياة، والتي إذا جمعناها بنفس النسب التي توجد بها في الكائن الحي، فإن الحياة لا تنبعث فيها، والتي تزول منها الحياة حتى مع بقائها على تركيبها عند وجود الحياة فيها. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ الطارق الآية 5، 6.

¹ ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وشرح: محمد عابد الجابري، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 118.

² نفسه، ص 118، 119.

³ نفسه، ص 119.

المبحث الثاني: بلاغة الحجة القرآنية وصورها.

لقد كان للحجة الفطرية في الخطاب القرآني مظهرين أحدهما عقلي منطقي فالعقل في الثقافة الإسلامية شديد الارتباط باللغة فهناك ارتباط شديد بين الحجة وبين البلاغة وهو راجع إلى تلك الطبيعة المميزة للبلاغة العربية فأين تكمن بلاغة الواردة في الخطاب القرآني وماهي أهم صورها؟

أولاً: بلاغة الحجة القرآنية

يرى محمود يعقوبي أنه قد كان للنص القرآني حضور قوي في مختلف الدراسات بمختلف ميادينها وتحل الدراسات اللغوية والإعجازية المكانة الأبرز فيما أن الخطاب القرآني قد حث الإنسان على أعمال عقله وطاقاته الإدراكية والشعورية وفق آلية منطقية يشترك فيها العام والخاص مكنته من فهم تلك الدعوة العظيمة التي يحملها هذا الخطاب المنطقي البلاغي الإعجازي يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ سورة الإسراء الآية 88 فقد اشتهر العرب قديماً قبل الإسلام بفصاحتهم وبلاغة أساليبهم في الكلام كما اشتهروا بالأدب والشعر واهتموا به اهتماماً كبيراً وكان ذلك يظهر جلياً في الخطب والحكم والأمثال... كما أنهم كانوا يتبارون في فصاحة اللسان لإبراز من هو أكثرهم بلاغة وأرقاهم أسلوباً، لهذا فإن الله عز وجل نزل القرآن الكريم متحدياً بفصاحته وبلاغته لسان العرب قديماً أي أراد سبحانه إعجازهم في مجال هم يبرعون فيه وليعلموا أنه الحق وأنه ليس من صنع البشر قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ سورة الأنبياء الآية 18 ليحمل الخطاب القرآني في ثنايا صفحاته قوة حجته الدامغة وبراهينه الكاملة التي لا يعيبها نقص واضحة ليس فيها ابهام أو غموض فيدحض بما حجج المجادل في صحته وبلاغتها، فإعجازه الخطاب لا يتوقف عند حدود الكلام المألوف من حيث رونق اللفظ وجمال التعبير، بل تجاوزه ليكون ذوق أدبي بلغ النهاية في الرفعة والسمو، مراعيًا تلك الطبيعة البشرية التي تؤثر فيها القول الحسن، والكلمة الطيبة والأسلوب اللين. فهو نص إعجازي شكل بأنماطه المختلفة حضوراً دلاليًا في الوعي الفلسفي والديني والنقدي. فالتعبير القرآني وبما يتميز به من ألفاظ دقيقة وسمو في المعاني لم يتكئ على هذه المميزات وحدها، إنما سلك طريقاً فنياً في الأداء ومنهجاً جمالياً بالغ الروعة في التعبير كان السر في عدم تناهي تأويلاته، ومن ثم خلوده.¹

¹ لطفى فكرى محمد الجودى: جمالية الخطاب في النص القرآني، ص 169، 171.

لقد كانت معجزة الرسول صلى عليه وسلم هي القرآن الكريم، ليواجه به قوما امتازوا بالفصاحة والبيان، محدثا لهم صدمة على مستوى الإعجاز البياني فعجزوا عن مجاراته بالرغم من كونهم أهل البلاغة والبيان، فليس أمامهم إلا الهداية والاستسلام لواقع هذا البيان القرآني. تعد البلاغة من أكثر الكلمات شيوعا واستعمالا في كتب الأدب بالإضافة إلى الفصاحة وتستعملان معا أو تستعمل واحدة منهما في موضع الأخرى والبلاغة في اللغة: "بلغ البلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى. والبلاغ التبليغ يقول تعالى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ إبراهيم الآية 52 ويقول أيضا: ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ المائدة: 67 أي ان لم تبلغ هذا أو شيئا مما حملت تكن في حكم من لم يبلغ شيئا من رسالته لأن حكم الأنبياء وتكليفاتهم أشد. وتقال البلاغة على وجهين: أحدهما أن يكون بذاته بليغا بجمعه ثلاث أوصاف صوابا موضوع لغته وطبقا للمعنى المقصود به وصدقا في نفسه ومتى اخترم وصف كان ناقصا في البلاغة. والثاني أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له.¹" والبلاغة: هي الفصاحة والبُغ والبِليغ: البليغ من الرجال، ورجل بليغ وبليغ وبليغ: حسن الكلام فصيح ببلغ بعبارة لسانه كُنَّه ما في قلبه، والجمع بُلغاء، وقد بلغ بلاغه: صار بليغا² ومن آيات الاعجاز البلاغي في المصحف الشريف - وهي كثيرة - نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: قوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ الطور الآية 34 متحديا العرب أن يأتيوا بمثله ثم تحداهم أن يأتيوا بعشر سور فعجزوا يقول تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ هود الآية 13 ثم تحداهم بسورة واحدة فعجزوا قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة الآية 23 لقد دعا الله سبحانه وتعالى المعرضون عن القرآن الحكيم، الساخرون منه، المستهينون به وبآياته، وعلمه وبهداياته معتقدين أن القرآن ونظمه، وأحكامه وشريعته ليس من عند الله، بل هي قول محمد صلى الله عليه وسلم افتراه على ربه، أن يأتيوا ببرهان يؤكدون به دعواهم بإقامة الحجة، وإلا فهي باطلة. " لقد اصطلح الباحثون على عد علوم البلاغة ثلاثة: المعاني، وهو العلم الذي يبحث في أسرار تركيب الجملة، والمعاني التي تفهم من تكوينها على نحو مخصوص، وهو ما عناه الجرجاني بمعاني النحو، ليفق بحث هذا العلم عند تأمل الفروق بين الجمل الاسمية والفعلية.

¹ راغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 77.

² ابن منظور: لسان العرب، ج 8، ص 420.

أما علم البيان، فموضوعه التصوير الذي يهب الفكرة وضوحاً وقوة فيزيد تأثيرها في نفس المخاطب فكان موضوع درسه التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز. ويتناول علم البديع تلك الحسنات المعنوية واللفظية ما يزيد في جمال اللفظ وقوة تأثيره ووضوح معناه.¹ وبالتالي فإن محمود يعقوبي ينظر الى البلاغة كوسيلة لمعرفة الإعجاز القرآني من خلال معرفة معجزة الرسول الذي أوتي جوامع الكلم واستجلاء ما ورد فيه من معان وأحكام وهو ما يذهب اليه "الرجائي في قوله: «إن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أنه كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهاها إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر، وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب، والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان... ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض»² لقد تأثر السلف الصالح بأسلوب القرآن الكريم في الحجاج في خطاباتهم على المستوى البلاغي ليكون كلامهم ضمن مستوى بنائي صحيح ومقنع وسليم من حيث اللغة ودقيق من حيث المعنى وقد ظهر ذلك في كلام وخطب الخلفاء الراشدين، فقد بلغت الخطابة في عهدهم ذروة الرقي والازدهار وكان عمر بن الخطاب من أفصح الناس منطلقاً وأبلغهم عبارة وأكثرهم صواباً وحكمة وأرواهم للشعر وأنقدهم له، أما عثمان بن عفان كان من أوجزهم لفظاً وأسلسهم عبارة، على حين أن علي بن أبي طالب كان إمام الخطباء من المسلمين بحكم أنه سريع البديهة إلى حد لا يعجزه مأزق محرج فهو أفصح العرب بعد الرسول -عليه الصلاة والسلام على الإطلاق فكانت عموم خطبهم بالغة التأثير قوية الأسلوب بليغة التركيب معتمدين في ذلك على منطق الخطاب القرآني في التأثير على عقول الناس وإقناعهم.

"إن علم المعاني من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو تعريف وتنكير، أو قصر، أو فصل ووصل، أو إيجاز وإطناب"³ كان الأوائل يطلقون عليه معاني القرآن أو معاني الشعر، وأول من سمي قسم به خاص بموضوعات البلاغة السكاكي قبل ذلك كان مصطلح المعاني غير متصل بالبلاغة أو بأحد علومها. " فالأصل في علم المعاني نظرية النظم التي وضعها الرجائي التي مفادها يقوم على تعليق الكلام بعضه على بعض والتي لا بد لها من المعنى واللفظ فإذا اختلف المعنى لا بد أن يختلف اللفظ لأن ترتيب الألفاظ في النطق إنما هو ناشئ

¹ أحمد أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، د:ط، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2005، ص21.

² عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ط1، درا النهضة العربية، لبنان، 2009، ص36.

³ أحمد مطلوب: أساليب بلاغية الفصاحة البلاغة المعاني، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص65.

عن ترتيب المعاني في النفس، وهذا هو النظم. يقول تعالى: ﴿لَمْ ذُلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة الآية 1، 2 وفي قوله يصف خمر الجنة: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ الصافات الآية 37 فندرك السر الذي من أجله قدمت كلمة ريب على الجار والمجرور، لأن فيها نفي للريب عن القرآن دون التعرض لغيره من الكتب وأخرت كلمة غول عن الجار والمجرور فيها ففيه قصد لوصف خمر الدنيا وما فيه من شرور وآثام.¹

معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك.² أي حسن اختيار اللفظ المطابق للمطلوب للمزيد من الدقة والإيضاح يمكن اللجوء الى التقديم والتأخير والوصل والفصل وغيرها. مثال عن التقديم والتأخير من آيات العزيز الحكيم بدل قول ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ باختصار يعني، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ سورة البقرة الآية 258 كمثال على الوصل والفصل في بداية سورة المنافقون ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ سورة المنافقون الآية 01.

¹ فهد خليل زايد: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، ط1، دار الفنائس، الأردن، 2008، ص116.

² نفسه، ص 67.

المبحث الثالث: الأبعاد النفسية والاجتماعية للخطاب القرآني

لقد كان لبلاغة النص القرآني وإعجازه أثر في النفس الإنسانية لذلك حث القرآن الكريم على "دراسة النفس ومعرفة أسرارها، لأن معرفة الإنسان لنفسه تؤدي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى يقول عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾ الروم الآية 08 فمعرفة الإنسان لنفسه تساعد على ضبط أهوائها، ووقايتها من الانحراف وتوجيهها إلى طريق الإيمان والعمل الصالح والسلوك السليم مما يهيئ للإنسان الحياة الآمنة المطمئنة، ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة. وقد تعرض الخطاب القرآني لطبيعة تكوين الإنسان، فوصف أحوال النفس، وبين طرق تهذيبها وترتيبها وعلاجها فكانت آيات الخطاب بمثابة المعالم التي يسترشد بها الإنسان في فهم نفسه وخصالها.

"إن الدلالة النفسية التي تشمل تلك العمليات العقلية تقوم على استدعاء الأفكار بالإضافة إلى المشاعر الانفعالية المختلفة التي يراد نقلها الى ذهن السامع، فهذه الدلالة في اللغة تنطلق فقط من الأرضية النفسية التي أنبى عليها النص لتتجاوزة محدثة ذلك التأثير على نفسية المتلقي من ناحية اختيار الألفاظ وبناء الكلمات، أو العلاقة القائمة بين الكلمة والمضمون. يقول الجرجاني: «إن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس، وأنها لو خلت معانيها حتى تتجرد أصواتا وأصداء».¹ يرى محمود يعقوبي أن الخطاب القرآني اشتمل على دعوة تحث الإنسان على التفكير في نفسه، وعلى دراستها ومعرفة أسرارها: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الذاريات الآية 20، 21. ليأخذ معنى معرفة الإنسان لنفسه معرفته بربه، وبالتالي معرفة الإنسان لنفسه ضرورة لذلك قال سقراط: "اعرف نفسك بنفسك".

"لقد وردت كلمة النفس في 295 آية تبين من خلالها أن للنفس معاني عدة وقد جاءت النفس في بعض الآيات لتعني الذات الإلهية وصفاته قال تعالى: ﴿عَلِمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ المائدة الآية 116 وجاءت في موضع آخر تحمل معنى الروح. قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء الآية 85 أما بقية الآيات فإن النفس قد وردت تحمل معنى ذلك المخلوق الذي له كيان خاص وصفات ومميزات.²

¹ عبد الله الجبوسي: التعبير القرآني ودلالة النفسية، ط1، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، 2006، ص 21، 60.

² عدنان الشريف: من علم النفس القرآني، ص 36، 38.

إن سعادة الإنسان لا تكون بلا سكينه النفس، ولا سكينه للنفس بلا اطمئنان القلب. مما لا شك فيه أن كلا منا يبحث عن السعادة ويسعى إليها، فهي أمل كل البشر والتي بها يتحقق لهم الأمن النفسي والسعادة التي نعيشها هي تلك السعادة الروحية الكاملة التي تبعث الأمل والرضا، وتثمر السكينه والاطمئنان وتحقق الأمن النفسي والروحي للإنسان فيحيا سعيدا هانئا آمنا مطمئنا، وليس الأمن النفسي بالمطلب الهين فبواعث القلق والخوف والضيق ودواعي التردد والارتباب والشك تصاحب الإنسان منذ أن يولد وحتى يموت.

إن الأثر النفسي الذي نخوض قد جعل محمود يعقوبي من الخطاب القرآني قاعدة مركزية له باعتباره الأساس الذي يقوم عليها كل بناء يهدف لحماية الإنسان من الخوف والفرع والاضطراب وكل ما يحد حريته وإنسانيته، "فقد وصف القرآن الكريم مختلف درجات القلق والخوف الطبيعي والأعراض التي تصاحبها من أعراض على الجسم بحيث لم تأتي كتب النفس بزيادة عما ورد في الخطاب القرآني فيتحدث عن الضيق النفسي يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ. وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الحجر الآية 99،67. وكذا عن الخوف بقوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَاهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ الأحزاب الآية 19.¹ ليوضح بيان الطبيعة البشرية، وينبه إلى ما يعتريها، وما قد يصيبها من بأس، أو أذى وتبيان الشفاء الأمثل لها.

إن الأثر النفسي بنظر يعقوبي يظهر فيما تتركه آياته في نفوس مستمعيه يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المائدة الآية 83. فيعمل على بث الطمأنينة والاستقرار النفسي فالخطاب القرآني شفاء وعلاج للعديد من الأمراض التي تصيب الإنسان وقد صرح بذلك: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإسراء الآية 82. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس الآية 57. إن التأثير الذي يحدثه الخطاب القرآني راجع الى كونه صنيع إلهي فهو تلك الطاقة الروحية التي لها سلطان مطلق على النفس الإنسانية.

¹ عدنان الشريف: من علم النفس القرآني، ص 36.

لقد غني القرآن الكريم بالنفس الإنسانية عناية شاملة تمنح الإنسان معرفة صحيحة عن النفس وقاية وعلاجاً وهذا وجه الإعجاز والروعة في عناية القرآن الكريم بالنفس الإنسانية، وترجع هذه العناية إلى أن الإنسان هو المقصود بالهداية والإرشاد والتوجيه والإصلاح. ومن أسباب تأثير الخطاب القرآني في النفس البشرية نذكر ما يلي:

"قدسية الألفاظ فهي تنقل الإنسان إلى جو من الرهبة والقدسية مدركاً أنه ليس كلام البشر وأن له سلطان على النفوس يفوق الإرادة البشرية وشعورها، فهو خطاب السلطان قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الزمر: 23. تناغم ألفاظ القرآن وجرسه الموسيقي وتعد احدى أقوى خصائص وأسباب التأثير لأن أكثر الناس يستطيعون إدراكها بغض النظر عن لسانهم ولغتهم."¹

بالإضافة الى مساندة النفس الإنسانية الملتأمل في الخطاب القرآني يلاحظ مدى انسجامه مع الفطرة الانسان، ففي خطابه وتشريعاته يراعي ميولها ومسارها لطبيعتها متدرجاً في علاجها يقول تعالى: ﴿كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة الآية 216 فقد فرض القتال في سبيل الله مع علمه أنه مكروه في النفوس، لما فيه من التعب والمشقة، وحصول أنواع المخاوف، ومع هذا، فهو خير محض، لما فيه من الثواب العظيم" فهذه الآية تحمل اعتراف وله فائدة تمهيدية لعلاج النفس من هذه الكراهية وهي طريقة تربوية تؤكد على مواجهة الحقيقة وعدم الهروب موضحة أنه ليس كل ما تكرهه النفس شراً دائماً لبيان فيما بعد ما تميل اليه النفس وتبجه وهو النصر قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْكُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ التوبة الآية 14.

لقد وضح محمود يعقوبي أسباب تأثير الخطاب القرآني في النفس فيرى أن مخاطبته للعقل وامتناع العاطفة والوجدان أحد أبرز الأسباب التي تجعله خطاباً نفسياً كما أن القرآن يخاطب العقل بمنطق قوي وحجة ظاهرة ودليل قاطع وفي الوقت نفسه يخاطب الشعور والوجدان قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأُمْرَ فَسَبِّحُوا لِلَّهِ قُلْ﴾ يونس الآية 31، 32.²

¹ عدنان الشريف: من علم النفس القرآني، ص 127، 131.

² نفسه، ص 132، 135.

وتظهر أهمية الخطاب القرآني، في كونه يمثل خطاب رب العباد الذي هو أدرى وأعلم بمن خلق وخاصة مكوناته الداخلية، وعلى رأسها البعد النفسي، الذي يلعب دوراً مهماً في بناء ذلك البعد الاجتماعي الذي يركز على سبل وآليات التعامل والتعايش بين البشر مع بعضهم البعض.

أما عن أبعاده الاجتماعية فيرى يعقوبي أنه أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم كظاهرة اجتماعية يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة الآية 30. فنجد ان الله سبحانه وتعالى ينبأ الملائكة بأنه قرر انشاء مجتمع على الارض أولى عناصره هو الانسان أما ثانيها فهو الأرض أما العنصر الثالث فهو تلك العلاقة المعنوية التي تربط الانسان بالأرض وتربطه من ناحية اخرى بأخيه الانسان، هذه هي عناصر المجتمع، فلا يوجد مجتمع بدون انسان يعيش مع أخيه الانسان ولا يوجد مجتمع بدون أرض أو طبيعة يمارس الانسان عليها دوره الاجتماعي وفي هذين العنصرين تتفق المجتمعات التاريخية والبشرية.

وبما أن الخطاب القرآني خطاب الشامل والعام كما أنه دين عقل وفطرة فقد أولى اهتماماً بجميع جوانب الإنسان الجسمية والروحية والعقلية ونشاطه الاجتماعي ومنه فإنه أشمل منهج عرفته البشرية، كما خطاب عمل تحقيق التوازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح. توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته، بين نزعة الفردية والجماعية قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة الآية 134.

فالخطاب القرآني يأخذ الكائن البشري بواقعه الذي هو عليه، يعرف حدود طاقاته ويعرف مطالبه وضروراته، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة الآية 286، فيعرف ضعفه إزاء المغريات، وإزاء التكليف.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ النساء: 28، مسائرا بذلك فطرته في واقعها قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الحج الآية 78.

يؤكد محمود يعقوبي أن المنهج القرآني هو عرض تخطيطي منطقي محكم ينتهي الى أمر شرعي صارم ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ البقرة الآية 219 فالخمر والميسر من الأمور التي كانت معروفة في الجاهلية فالنص السابق يشير إلى آثام الخمر في ضمير الانسان الذي يعيش في ظل مجتمع يحكمه نظام أخلاقي معين وقد مثلت هذه الآية مرحلة ضرورية وهي المرحلة النفسية للمشكلة ثم يأتي النص الثاني يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ النساء الآية 43 حاملة بذلك التطهير المدني من الخمر بشكل تدريجي إلى أن يترتب حظر خلقي يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة الآية 90 ثم يسن التحريم النهائي وتوضع العقوبة.¹ فهذا النظام المنطقي المتسلل لا يمكن للنفس البشرية رفضه فهو يتوافق مع البنية العقلية والوجدانية للفرد الذي لا يمكن له العيش بعيدا عن النسق الاجتماعي، مما سبق يتضح لنا أن محمود يعقوبي يعتبر الجدل القرآني منهجية منطقية التي تستند على الدليل والحجة، ليكون الجدل الحوارى العقلي الذي يعتمد الفطري الذي يعتمد على الحجة الفطرية أنجح أسلوب يسلكه المجادل، كما أن معيار الصدق في الخطاب القرآني هو البرهان وهو الأساس المتين لصدق قضايا المنطقية. فقد ركز الجدل القرآني في نظره على ضروب من القضايا التي يكشف فيها عن وجه الحق، وأنواع الدعاوى الباطلة التي دحضها، ودل على ما بها من زيف.

أكد يعقوبي أن النزعة المنطقية للغة العربية نتج عنها آليا منطقية النص القرآني باعتباره نصا لغويا، وهو ما يبرز مع تلك الدعوة الصريحة لاستخدام العقل والبرهان المنطقي في كثير من آيات الخطاب القرآني فهو قد تضمن معاني يتفق عليها كل الناس وهو الإعجاز الذي عجزت عن صنعه كل الأبنية العقلية للبشر.

¹ مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ص 297، 298.

لقد عمد الخطاب القرآني في عرض قضاياها على البلاغة التي تضمنت الإشارة لهذه الأبنية المختلفة ولكنها من صنع الله سبحانه وتعالى، بالإضافة الى أن الإعجاز في الخطاب القرآني هو إعجاز بياني، وهو من أهم أنواع الإعجاز، فبالرغم من أن العرب أهل البلاغة والفصاحة والأدب، عجزوا عن الإتيان بمثل سورة من سور القرآن أو آية من آياته، وذلك راجع أن التركيبات اللغوية واللفظية في القرآن تختلف عما سواه.

يرى يعقوبي أنه قد شاع في الخطاب القرآني كثير من المعاني النفسية التي تبدو واضحة من السياق لأن العقل وحده لا يدفع إلى الإيمان بعمق، إذ لا بد من تضافر العقل والنفس، كما أنه بما يحمل من تراكيب لغوية تمثلها المفردات والجمل، في علاقتها مع البعد النفسي والاجتماعي للمخاطبين، باعتبار أن اللغة هي أداة الوعي الإنساني للمجتمع، وهي في الوقت نفسه أداة وعي الإنسان نفسه.

إن الإعجاز النفسي في القرآن هو ما نلمحه من تلك الآيات، وهي تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم وما يحزنهم، ومما نجده من بيان لمكونات النفس وخفاياها، وقد يكون ذلك في الدنيا وقد يكون في الآخرة.

خاتمة

مما سبق وبعد التحليل والمناقشة لأهم عناصر وأفكار الإشكالية عبر مختلف فصول هذا البحث توصلت إلى:

إن اهتمام الخطاب القرآني بالجانب العقلي واضح وقد أكدت عليه العديد من آياته في مختلف السور فعقيدته تعتبر أن العقل ونصوص الوحي الأساس المتين لبناء ذلك الجانب الإيماني في الفرد فكان هذا الاهتمام بما يتوافق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كما أن سور الخطاب القرآني تدعوا إلى إيقاظ القلب حتى يلج بنظره في هذا الكون فلو أراد الله سبحانه وتعالى أن يحمل الإنسان على التصديق بهذا الخطاب لاكتفى بالمعجزات الحسية التي تتعدى النظام الكوني إلا أن الخطاب القرآني خطاب حرية يرفض الإكراه.

إن جذور المنطق ضاربة في تفكير منذ بدء الخلق فقد ولد مع الإنسان كما ولد معه البيان فأساسياته وهبها الله تعالى للإنسان بالفطرة، كما أن الأصول الأولى للمنطق الأرسطي هي أصول فطرية في عقل إنساني لا تخالف الفطرة الإنسانية قبل أن تكون من أصل فلسفي وحكرا على الفكر اليوناني.

- المنطق الفطري عند محمود يعقوبي هو تلك المبادئ والأصول العقلية الأولى التي يقوم عليها كل عمل عقلي وهو ليس صوري فقط بل هو عملي أيضا، وقد اعتمد الخطاب القرآني على آليات هذا المنطق وقواعده فهدفت إلى الإقناع كأفضل الذي يكون بالزام المستمع بقول الرأي غالق جميع المنافذ ما يدفعه إلى التسليم.

- لم يقتصر القرآن في إقامة حججه وبراهينه على طريقة واحدة ولا أسلوب واحد، بل نجده قد استخدم طرقا وأساليب شتى في الرد والاستدلال فالدقة فيه تكون باستعمال العناصر الدالة الموصلة إلى المطلوب وفقا لترتيب متصل لا يترك فجوة تنقطع بها حركة الاستدلال.

- تتميز الأدلة القرآنية بخصائص كثيرة لا يمكن أن يضاهيها شيء من صنع بشر مهما علا في العلم والفكر، فهي أدلة تخاطب القلب والعقل معا، سهلة واضحة تنطلق من مقدمات، قاطعة للشك، شاملة، ومتكاملة.

- اشتمل القرآن الكريم على حجج عقلية تثبت كل القضايا الأساسية للعقيدة الإسلامية، وتبطل كل الشبهات والشكوك التي أثيرت حولها، وفي هذا دلالة واضحة على احترام الإسلام للعقل، لو فرض أن معرفة الله ليست فطرية بل هي نظرية تحتاج إلى إقامة دليل عليها فإنه لا بد من وجود علوم فطرية ينتهي الاستدلال إليها ولا يقوم إلا بها. وعليه إن معرفة الله فطرية وهي في نفس الوقت نظرية ونفي هذه المعرفة الفطرية يعني أنه لا يمكن تثبيت الاستدلال العقلي لأنها الأساس الضروري ينبغي الرجوع إليه.

-الخطاب القرآني خطاب منطقي فطري هو شبيه بالمنطق الأرسطي هو سابق وشارح لكل أنواع المنطق الأخرى.

- إن الارتباط الوثيق بين المنطق والقرآن الكريم قد اتضح أكثر من خلال النزعة المنطقية للغة العربية فكانت اللغة العربية لغة حية قادرة على احتواء الفكر الإنساني، وأداة تعبير وتواصل بين العرب وغيرهم الذين أكدوا على عظمتها، وأصالتها المتجذرة في التاريخ.

-اهتم القرآن الكريم بالحوار اهتماما كبيرا، وذلك لأن الطبيعة الإنسانية تميل بطبعها وفطرتها إلى الحوار، والجدال وقد تنوعت البراهين في الخطاب القرآني لتنوع العقول ومدى إدراكها وفهمها وتصديقها.

-يرى يعقوبي أن الجدال القرآني تلك المنهجية المنطقية التي تستند على الدليل والحجة، ليكون الجدال الحوارية العقلية الذي يعتمد الفطري الذي يعتمد على الحجة الفطرية أنجح أسلوب يسلكه المجادل، لذلك جاء الخطاب القرآني وفق أقيسة المنطقية تتألف من مقدمات مسلمة، ونتائج ملزمة.

-النزعة المنطقية للغة العربية نتج عنها آليا منطقية النص القرآني باعتباره نصا لغويا، وهو ما يبرز مع تلك الدعوة الصريحة لاستخدام العقل والبرهان المنطقي في كثير من آيات الخطاب القرآني.

- القرآن الكريم تضمن معاني يتفق عليها كل الناس وهو الإعجاز الذي عجزت عن صنعه كل الأبنية العقلية للبشر. لذلك كانت طريقة الخطاب القرآني في عرض قضاياها هي البلاغة التي تضمنت الإشارة لهذه الأبنية المختلفة ولكنها من صنع الله سبحانه وتعالى.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً:

1. محمود يعقوبي: دروس المنطق الصوري، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009
2. _____: المنطق الفطري في القرآن الكريم، د:ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000
3. جول تريكو: المنطق الصوري، تر: محمود يعقوبي، د:ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د:ت.

قائمة المراجع

1. ابن المزين: إثبات نبوة محمد، تحقيق ودراسة: أحمد آيت بلعيد، د:ط، دار الكتب العلمية، لبنان، د:ت.
2. ابن حنبلي: استخراج الجدل من القرآن الكريم، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد صبحي حسن حلاق، ط1، مؤسسة الريان، لبنان، 1996.
3. ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وشرح: محمد عابد الجابري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998 .
4. ابن رشد: تلخيص منطق أرسطو، دراسة وتحقيق: جيرا جهيامي، مج1، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1992
5. أبي نصر الفارابي: إحصاء العلوم، قدم له وشرحه وبوبه على بوملحم، ط1، دار ومكتبة الهلال للدراسة والنشر، بيروت، 1996
6. أحمد أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، د:ط، نخصة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2005.
7. أحمد بن عبد السلام الريسوني: التجديد الأصولي نحو صياغة تجديدية لعلم أصول الفقه، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الو.م.أ، 2014.
8. أحمد عبد الرحمن حماد: العلاقة بين اللغة والفكر، د:ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1985.
9. أحمد مطلوب: أساليب بلاغية الفصاحة البلاغة المعاني، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980.
10. أفلاطون: فيدون في خلود النفس، تر: عزت قرني، ط3، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001

11. أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، د:ط، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982.
12. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار التراث، القاهرة، 1984.
13. حمد بن إبراهيم العثمان: أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ط2، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2004.
14. رنييه ديكارت: حديث الطريقة، تر: عمر الشاربي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008.
15. سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ط1، الكتب العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2002.
16. السيد رزق الحجر: مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم، العدد 223، جامعة القاهرة، 2007.
17. عبد الجليل عبد الرحيم: لغة القرآن الكريم، ط1، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، 1981.
18. عبد الحلیم حفني أحمد بكري: أسلوب المحاوره في القرآن الكريم، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995.
19. عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.
20. عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ط1، درا النهضة العربية، لبنان، 2009.
21. عبد القادر محمد مايو: الوجيز في فقه اللغة العربية، مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله فرهود، ط1، دار القلم العربي، سورية، 1998.
22. عبد الكريم نوفان عبيدات: الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، ط1، دار النفائس، الأردن، 2000.
23. عبد الله الجيوسي: التعبير القرآني ودلالة النفسية، ط1، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، 2006.
24. عبد الهادي الفضلي: خلاصة المنطق، ط3، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، إيران، د:ت.
25. عثمان علي حسين: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، ج1، ط1، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية، 1999.
26. عدنان الشريف: من علم القرآني، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1987.

27. علي سامي النشار: المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، ط1، دار المعرفة الجامعية، السويس، 2000.
28. علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، ط9، دار المعارف، القاهرة، د: ت.
29. عمر أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج2، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008.
30. عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله، ط12، دار النفائس، الأردن، 1999.
31. الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، ط4، دار المعارف، مصر، 1966.
32. فريدريك هيجل: محاضرات فلسفة الدين، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، د: ط، دار الكلمة، مصر، د: ت.
33. فضل حسين عباس: قصص القرآن الكريم، ط3، دار النفائس، الأردن، 2010.
34. فهد خليل زايد: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، ط1، دار النفائس، الأردن، 2008.
35. لطفي فكري محمد الجودي: جمالية الخطاب في النص القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014.
36. مالك بن نبي: الظاهرية القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، ن دار الفكر، سورية، 1987.
37. محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ط1، دار الفكر العربي، 1934.
38. محمد أبو زهرة: خاتم النبيين، مج1، دار الفكر العربي، القاهرة، د: ت.
39. محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، د: ت.
40. محمد الحسيني البهشتي: المعرفة الفطرية، تر: لجنة الهدى، ط1، دار الهادي للنشر والتوزيع، لبنان، 2007.
41. محمد الطاهرين عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ط21، الدار التونسية للنشر، 1984.
42. محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2002.
43. محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، ط5، دار الملاك، لبنان، 1996.
44. محمد رضا المظفر: المنطق، ط3، دار التعارف للمطبوعات، مصر، 2006.
45. محمد رواس قلعجي: لغة القرآن لغة العرب المختارة، د: ط، دار النفائس، الظهران، 1406هـ.
46. محمد سيد الطنطاوي: أدب الحوار في الإسلام، د: ط، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1997.
47. محمد صنقور علي: أساسيات المنطق، ط1، دار جواد الأئمة، لبنان، 2013.

قائمة المصادر والمراجع

48. محمد عبد الشافي القوصي: عبقرية اللغة العربية، د:ط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، المغرب، 2016.

49. محمد عثمان نجاتي: القرآن الكريم وعلم النفس، ط7، دار الشروق، القاهرة، 2001.

50. محمود قاسم: المنطق الحديث ومناهج البحث، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، الاسكندرية، 1953.

51. مصطفى النشار: مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

52. مهدي فضل الله: فلسفة ديكارت ومنهجه دراسة تحليلية نقدية، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1996.

53. ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984.

المعاجم والموسوعات

1. أندري لا لاند: موسوعة لا لاند الفلسفية، مج2، ط2، تعريب: أحمد خليل أحمد، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 2001.

2. ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، مادة المنطق، د:ط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983.

3. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1411هـ.

4. ابن منظور: لسان العرب، مج10، دار صادر، بيروت، د:ت.

5. الجرجاني: التعريفات، ط1، مكتبة بيروت، 1969.

6. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، د:ط، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1993.

7. الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط1، دار القلم، دمشق، 2009.

8. عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1989.

فهرس الآيات

فهرس الآيات

السورة	الرقم	الآية
البقرة	2-1	ألم ذلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
البقرة	21	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
البقرة	23	وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
البقرة	136	قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون
البقرة	143	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ
البقرة	163	إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخرين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون
البقرة	171	وإذا قيل لهم إتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون
البقرة	216	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
البقرة	219	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ
البقرة	258	ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر

فهرس الآيات

البقرة	285	آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
البقرة	286	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
آل عمران	19	فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون ﴿سورة بل عمران:52﴾ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب
آل عمران	60-59	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين
آل عمران	52	فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون
آل عمران	64	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
آل عمران	67	مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
آل عمران	109	وشاورهم في الأمر
النساء	28	يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا
النساء	36	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
النساء	43	أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ
النساء	82	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا
المائدة	48	وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
المائدة	67	وإن لم تفعل فما بلغت رسالته
المائدة	68	قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل و ما أنزل إليكم من ربكم

فهرس الآيات

المائدة	83	وَإِذَا سَأَعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ
المائدة	116	عَلِمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
الأنعام	80	وحاجه قومه قال أتحاجونني في الله و قد هدان
الأنعام	112	وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس و الجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا
الأنعام	148	قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون
الأعراف	185	اولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء
الأعراف	172	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ
التوبة	06	وإن أحدمن المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله
التوبة	14	فَاتَّبَعُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ
التوبة	33	هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
التوبة	120	ولا يطغون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح
يونس	13	ولقد أهلكنا من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين
يونس	32-31	قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيَّةِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيَّةَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
يونس	57	يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
يونس	84	وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين
هود	13	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
هود	24-18	ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض

فهرس الآيات

		وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون
هود	27-25	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ
هود	35-27	يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ هَا كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيْ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرَمُونَ
هود	119-118	ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم
يوسف	02	إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون
يوسف	03	نحن نقص ليلك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن
يوسف	111	لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب
الرعد	04	وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَّجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَعَيْرٌ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
ابراهيم	04	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم

فهرس الآيات

ابراهيم	11-10	قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
ابراهيم	52	هُذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ
الحجر	09	انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
الحجر	99-97	وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنتَكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِنَ السَّاجِدِينَ. وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ.
النحل	02	يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ
النحل	36	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
النحل	111	ويوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها
النحل	125	ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
الاسراء	23	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
الاسراء	42	قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّبَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
الاسراء	77	ولقد كرمنا بني آدم
الاسراء	82	وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
الاسراء	85	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا
الاسراء	88	قُلْ لَعْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا
الكهف	34	فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا
الكهف	37	قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا
الكهف	54	ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا
الكهف	56	ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق
الكهف	110	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ﴿١١٠﴾

فهرس الآيات

مریم	46-41	وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا
طه	113	وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا
الأنبياء	18	نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق
الأنبياء	22	لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون
الأنبياء	25	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ
الحج	07	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ يَهْبِجُ
الحج	27-26	وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق
الحج	73	إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب
الحج	78	وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّثْلَهُ أَيْبُكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ
المؤمنون	91	ما اتخذ الله من ولد ومان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون
الفرقان	33	ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا
الشعراء	195-193	نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين

فهرس الآيات

النمل	45	ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون
الروم	08	أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ
الروم	30	فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
الأحزاب	19	أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغَسِّقِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَاهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
الأحزاب	35	المتصدقين والمتصدقات
يس	22	ومالي لا أعبد الله الذي فطرني
يس	78	وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم ﴿٧٨﴾
يس	79	قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم
الصفات	37	لَا فِيهَا عُوقٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ
الصفات	157-156	أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين
ص	71	إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ
ص	23	أكفليها وعزني في الخطاب
الزمر	23	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مّتَابِرًا تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ
الزمر	28	قرآنا عربيا غير ذي عوج
غافر	35	الذين يجادلون في آيات الله
فصلت	03	فصلت آياته قرآنا عربيا
فصلت	30	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
فصلت	42	ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتنزيل من حكيم حميد
فصلت	44	ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد

فهرس الآيات

الشورى	62	وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتب ولا الإيمان ولكنه جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
الزخرف	03	إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون
الزخرف	09	ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم
الغاشية	24	وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ
الأحقاف	04	قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات والأرض اثنتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من من علم إن كنتم صادقين
الذاريات	21-20	وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
الذاريات	56	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
الطور	34	فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ
الطور	36-35	أم خلقوا من غير شيء أم هو الخالقون أم خلقوا السموات بل لا يوقنون
الرحمن	4-1	الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان
المجادلة	01	قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير
الصف	14	يأيها الذين ءامنوا كونوا أنصار لله
المنافقون	01	إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ
النبأ	16-6	أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سُبَاتًا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا
عبس	24	فلينظر الإنسان مما خلق
الطارق	6-5	فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ
الغاشية	21	فذكر انما أنت مذكر
العلق	01	إقرأ باسم ربك الذي خلق

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع:
	الأصول الدينية للمنطق عند محمود يعقوبي
	الاهداء
	شكر وتقدير
أ-ج	مقدمة
الفصل الأول: التطور التاريخي لمفهوم المنطق	
05	المبحث الأول: شبكة المفاهيم المكونة لحقل الفكر المنطقي
05	أولاً: المعنى اللغوي
06	ثانياً: المعنى الاصطلاحي
07	ثالثاً: المعنى الفلسفي
07	رابعاً: امتداد الفكر المنطقي
13	المبحث الثاني: الأصول الأولى للمنطق والدعوة لبناء منطق محايت
13	أولاً: الدعائم المشكلة للمنطق
20	المبحث الثالث: الخطاب القرآني والمنطق
20	أولاً: العلاقة بين المنطق والخطاب القرآني
الفصل الثاني: فطرية المنطق عند محمود يعقوبي	
25	المبحث الأول: المنطق القرآني
25	أولاً: الفطرة والقرآن الكريم
26	ثانياً: المنطق والفطرة

فهرس المحتويات

31	المبحث الثاني: الخطاب القرآني ومنطق اللغة
31	أولاً: اللغة والخطاب
33	ثانياً: اللغة والمنطق
39	المبحث الثالث: آليات الخطاب القرآني
39	أولاً: الحوار
40	ثانياً: الجدل
43	ثالثاً: القصة
الفصل الثالث: مبادئ المنطق في القرآن الكريم	
46	المبحث الأول: الجدل في القرآن الكريم
46	أولاً: الجدل القرآني
48	ثانياً: طرق الاستدلال القرآني
50	ثالثاً: مجالات الحجة القرآنية
57	المبحث الثاني: بلاغة الحجة القرآنية وصورها
57	أولاً: بلاغة الحجة القرآنية
61	المبحث الثالث: الأبعاد النفسية والاجتماعية للخطاب القرآني
68	خاتمة
71	قائمة المصادر والمراجع
76	فهرس الآيات القرآنية
84	فهرس المحتويات

